إنجيل العمدان

إنجيل النبى يحيى عليه السلام

أظهره وعرّف به
د. أحمد حجازى السقا

إنجيل العمدان

مكتبة جزيرة الورد
المنصورة

إنجيل المعمدان

إنجيل النبي يحيى عليه السلام

أظهره وعرّف به

الدكتور الشيخ

أحمد حجازى السقا

مكتبة جزيرة الورد

المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

١ـ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾

٢ـ ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾

صدق الله العظيم

الطبعة الأولى بالقاهرة

١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فهذا هو إنجيل النبى المعظَّم يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ نُظهره من الأناجيل الأربعة المقدسة عند المسيحين، ونبين: أنه شبيه بإنجيل عيسى ـ عليه السلام ـ وقد كان هو منفردا عنه، وسابقا عليه. ثم صار معه[1] إلى الزمان الذى تم فيه تحريف الإنجيلين، ودمجهما معا فى إنجيل واحد منسوب إلى متّى أو غيره وفى هذا الزمان الذى تم فيه تحريف الإنجيلين، ودمجهما معًا فى إنجيل واحد؛ ابتدأ القولُ : بأن يحيى كان يبشر بعيسى. ومن قبل هذا الزمان؛ كان الاثنان معا يبشران بمحمد ﷺ ـ فى مجيئه الثانى المتزامن مع يوم القيامة ـ ويحيى قبل عيسى. وكان يقول كل منهما لعلماء بنى إسرائيل : «ياأولاد الأفاعى من أراكم أن تَهربُوا من الغضب الآتى؛ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة، ولاتفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم: لنا إبراهيم أبا؛ لأنى أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم» ـ «ياأولاد الأفاعى. كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات، وأنتم أشرار؟» ـ «وأقول لكم: إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب، ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السموات» ـ «قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد إبراهيم؛ لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق، الذى سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم»

والإنجيل: هو البشرى بخبر سار ومفرح. والخبر: هو قول موسى ـ عليه السلام ـ عن محمد ﷺ : «يُقيم لك الرب إلهك: نبيا. من وسطك. من إخوتك، مثلى. له تسمعون» ـ «أُقيمُ لهم: نبيا. من وسط إخوتهم. مثلك. وأجعل كلامى

(١) كان للمعمدان أتباع وكان للمسيح أتباع وجميع الأتباع كانوا يؤمنون بظهور محمد ﷺ من بعد يحيى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وكان أتباع المعمدان يحملون الإنجيل الذى تسلموه منه مع التوراة ويدعون به فى جميع البلاد، وكذلك كان أتباع عيسى المسيح. وكانوا يعملون بأعمال اليهود، ويصلّون فى مساجدهم، ويترقبون ظهور محمد؛ ليعملوا بما سيقوله لهم. وفى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م جعل الرومان أتباع يحيى وعيسى جماعة واحدة، وجعلوا الإنجيلين إنجيلا واحدا، وأجبروا الجميع على النصرانية الحالية، ويوجد فى العالم إلى هذا اليوم كنائس خاصة لأتباع المعمدان ـ راجع كتاب يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية.

فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

وكنتُ قد رأيتُ كتابا باللغة الإنجليزية يتحدث عن الأناجيل المرفوضة من المسيحيين سنة٤٩٨م وأظهرت منه: إنجيل يعقوب، وإنجيل توما، والخطابات المتبادلة بين المسيح عيسى عليه السلام والملك أبْجار. ملك إيديسّا. ثم أظهرتُ إنجيل الطفولية عن مخطوط «لاورنيسيو» بـ«فلورانسا» . ولما أظهرتُ كل هذا، ووضعتُه فى مكتبة الإيمان بالمنصورة؛ رأيتُ أن أُظهر إنجيل المعمدان، مفصولا عن إنجيل المسيح؛ لأنه هو أول الأناجيل التى ظهرت فى أرض اليهودية. ورأيت من النظر فيهما بعين التدقيق؛ أنهما كانا يقتبسان ألفاظهما ومعانيهما من التوراة وأسفار الأنبياء. ولمزيد من معرفة التشابه التام بين الأناجيل وبين التوراة فى اللفظ والمعنى؛ يُراجع كتابنا «اقتباسات كتّاب الأناجيل من التوراة»، فهو مفتاح باب علم مقارنة الأديان، وبدونه لاتتضح الصّلة بين التوراة وبين الأناجيل، ولا بينهم وبين القرآن الكريم.

وقد شهد عيسى عليه السلام ليحيى عليه السلام بأنه «كان هو السِّراج الموقَد المنير، وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة» وشهد له أيضا بقوله: «لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه» يعنى بالأصغر: محمدا رسول الله ﷺ على معنى أنه خاتم النبيين، ولا نبى من بعده إلى يوم القيامة.

ولقد قال لى رئيس من رؤسائهم :

إننا نعرف محمدا من كتبنا، بلغة كتبنا. ويُقال لكم : إنه ليس له من ذكر فى كتبنا؛ لأنكم لاتعرفون لغتها. فاعرفوا لغتنا أولاً، ثم عَرِّفوها للمسلمين. وعندئذ لايقدر أحد منا أن يُنكر اسم محمد وصفاته.

إن المعمدان كان مصدقا للتوراة، وإن يسوع كان مصدقا للتوراة. ولم يُؤثر عن أى واحد منهما أنه أسَّس ديانة مغايرة لديانة النبى موسى. وأثر عنهما : أنهما دعوا إلى اقتراب ملكوت الله، وحلوله على الأرض بعد مملكة أهل الروم. وفى كتابكم : أن المعمدان كان مصدقا بكلمة من الله. وهى وعده على لسان إشعياء النبى بمجىء محمد. وأنتم لاتعرفون هذا. ولاتنتظروا من أحد منا أن يعرفكم شيئا

صالحا فى الاحتجاج به عليه. أليس فى كتابكم: ﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون﴾

وكثيرون من علماء أهل الكتاب أسلموا. ولم يذكروا لكم كل مايعرفونه عن محمد. هل ذكروا لكم أن الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا؛ يدل عليه؟ هل قالوا لكم: «فى البدء كان الكلمة» محمد؟ هل قالوا لكم: إن العبد المتألم فى سفر إشَعياء هو محمد؟ هل. وهل. وهل؟ إنى أنصحكم بدراسة لغة كتبنا. وأنصحكم بتدريس اللغة اليونانية والسريانية والعبرانية، فى مدارس دينية تسمى بمدارس الأديان. وهذه نصيحة وشهادة فى السِّر؛ يجب أن تُؤدى فى العلانية.

وقال لى هذا الأستاذ: إن فى سيرة محمد التى كتبها ابن إسحق، ونقلها عنه ابن هشام: أن يوحنا كاتب الإنجيل نقل عن المسيح كلاما من كلامه عن محمد. والكلام الذى نقله وكتبه. فيه: أن المسيح يستدل على مجىء محمد بنبوءات عنه فى سفر الزبور. هى إلى هذا اليوم فى سفر الزبور، ولم يؤثر عن واحد من المسلمين أنه بين نبوءات سفر الزبور هذه، ولم يؤثر عن واحد منهم إظهار النص الذى نقله ابن إسحق من الإنجيل، وهو إلى هذا اليوم فى الإنجيل. ويدؤه: «من أبغضنى فقد أبغض الرب، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع..» فهل تنتظرون من أهل الكتاب أن يبينوا لكم؟ أ.هـ.

وقد أظهرتُ هذا الذى قاله هذا الأستاذ؛ ليرى فيه المسلمون رأيهم، وليرى فيه شراح السيرة النبوية رأيهم، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن الذين وضعوا السيرة النبوية فى البدء، كانوا من الراسخين فى العلم، وكانوا على علم تام بما فى التوراة وما فى الإنجيل. ويجب أن يكون الشّارح للكتاب؛ أقوى فى العلم من مؤلف الكتاب نفسه، وإلا فلماذا يتصدّى لشرحه؟

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين.

١٤١٨/١٢/٢٩

١٩٩٨/٤/٢٦م

د / أحمد حجازى السقا

ميت طريف ـ دقهلية

حياة يُوحنا المَعْمَدَان

من إنجيل لُوقا

«كان فى أيام هيرودس. ملك اليهودية؛ كاهن اسمه زكريا، من فرقة أبيّا، وامرأته من بنات هرون، واسمها إلِيصابات. وكانا كلاهما بارّين أمام الله، سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه، بلا لوم. ولم يكن لهما ولد. إذ كانت إليصابات عاقرا، وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما.

فبينما هو يكهن فى نوبة فرقته أمام الله، حسب عادة الكهنوت؛ أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب، ويُبخِّر، وكان كل جمهور الشعب؛ يُصلُّون خارجا، وقت البخور. فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور. فلما رآه زكريا ؛ اضطرب، ووقع عليه خوف. فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا؛ لأن طِلبتك قد سُمعت، وامرأتك إليصابات ستلد لك ابنا، وتسمّيه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج، وكثيرون سيفرحون بولادته ؛ لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمرا ومسكرا لا يشرب. ومن بطن أمه؛ يمتلئ من الروح القدس. ويردّ كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدم أمامه بروح إيليّا وقوته ؛ ليردّ قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلي فكر الأبرار ؛ لكى يُهيئ للرب شعبا مستعداً.

فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا؛ لأنى أنا شيخ، وامرأتى متقدمة فى أيامها؟

فأجاب الملاك، وقال له: أنا جِبرائيل الواقف قدام الله، وأُرسلت لأكلمك، وأبشرك بهذا، وها أنت تكونُ صامتا، ولاتقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا؛ لأنك لم تصدق كلامى، الذى سيتم فى وقته.

وكان الشعب منتظرين زكريا، ومتعجبين من إبطائه فى الهيكل، فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم؛ ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل؛ فكان يُومئ إليهم، وبقى صامتا.

ولما كَمِلتْ أيام خدمته؛ مضى إلى بيته. وبعد تلك الأيام؛ حبلت إليصابات امرأته، وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة : هكذا قد فعل بى الرب، فى الأيام التى فيها نظر إلىّ؛ لينزع عارى بين الناس»

* * *

«وأما إليصابات. فتمّ زمانها؛ لتلد. فولدت ابنا. وسمع جيرانها وأقرباؤها : أن الرب عظّم رحمته لها؛ ففرحوا معها. وفى اليوم الثامن، جاءوا ليختنوا الصبى، وسّموه باسم أبيه زكريا. فأجابت أمه، وقالت : لا، بل يُسمَّى يُوحنّا. فقالوا لها : ليس أحد فى عشيرتك؛ تسمّى بهذا الاسم. ثم أومأوا إلى أبيه؛ ماذا يُريد أن يُسمَّى؟ فطلب لوحا، وكتب قائلا : اسمه يوحنا. فتعجب الجميع. وفى الحال، انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله. فوقع خوف على كل جيرانهم.

وتُحُدِّث بهذه الأمور جميعها فى كل جبال اليهودية. فأودعها جميع السامعين فى قلوبهم قائلين : أتَرى ماذا يكون هذا الصبى؟ وكانت يد الرب معه.

وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلا : مبارك الرب إله إسرائيل؛ لأنه افتقد، وصنع فداء لشعبه. وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه، كما تكلم بفم أنبيائه القديسين، الذين هم منذ الدهر. خلاصٍ من أعدائنا، ومن أيدى جميع مبغضينا؛ ليصنع رحمة مَعْ آبائنا، ويذكر عهده المقدس. القَسَمَ الذى حلف لإبراهيم أبينا أن يُعطينا إننا بلا خوف، مُنقذين من أيدى أعدائنا. نعبده. بقداسة وبِرّ. قدامه جميعَ أيام حياتنا.

وأنت أيها الصبىُّ نبىَّ العلى؛ تُدعَى؛ لأنك تتقدم أمام وجه الرب؛ لتعدَّ طرقه؛ لتعطى شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم. بأحشاء رحمةِ إلهنا، التى بها افتقدنا المشرَقُ من العلاء؛ ليضىء على الجالسين، فى الظلمة، وظلال الموت؛ لكى يهدى أقدامنا فى طريق السلام.

أما الصبى. فكان ينمو ويتقوىّ بالروح. وكان فى البرارى، إلى يوم ظهوره لإسرائيل»

* * *

«وفى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طِيباريوس قيصر. إذ كان بِيلاطُس البُنْطِى واليا على اليهودية، وهِيرودُس رئيس رُبع على الجليل، وفيلبُّس أخوه رئيس ربع على إيطوريّة وكورة تراخونيتس، وليسانِيوس رئيس ربع على الأبليَّة. فى أيام رئيس الكهنة حنَّان وقيافا؛ كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البريَّة. فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن؛ يكرِز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. كما هو مكتوب فى سِفر أقول

إشعياء النبى القائل : «صوت صارخ فى البَرِّية؛ أعدوا طريق الرب، اصنعوا سُبُله مستقيمة. كل واد يمتلئ، وكل جبل وأكمة ينخفض، وتصير المعوجات مستقيمة، والشِّعاب طرقا سهلة، ويُبصر كلُّ بشر خلاص الله»

وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه : يا أولاد الأفاعى. مَنْ أراكم أن تَهْرُبُوا من الغضب الآتى. فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة، ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم: لنا إبراهيم أبا؛ لأنى أقول لكم : إن الله قادر أن يُقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم.

والآن، قد وُضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لاتصنع ثمرا جيدا؛ تُقطع وتُلقى فى النار.

وسأله الجموع قائلين : فماذا نفعل؟ فأجاب وقال لهم : من له ثوبان؛ فليعط من ليس له. ومن له طعام؛ فليفعل هكذا. وجاء عَشّارون أيضا ليعتمدوا. فقالوا له : يامعلم. ماذا نفعل؟ فقال لهم : لاتستوفوا أكثر مما فُرض لكم. وسأله جنديون أيضا قائلين : وماذا نفعل نحن؟ فقال لهم : لاتظلموا أحدا، ولا تشوا بأحد، واكتفوا بعلائفكم.

وإذا كان الشعب ينتظر، والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا؛ لعلّه المسيح. أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعمدكم بماء، ولكن يأتى من هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذى رَفْشه فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع القمح إلى مخزنه. وأما التبن فيُحرقه بنار لاتُطفأ. وبأشياء أُخر كثيرة؛ كان يعظ الشعب، ويبشرهم»



تمهيدات

التمهيد الأول :

إذا قرأتَ فى القرآن الكريم : ﴿وقد نزّل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾ تجد أنه يُلزم أهل الكتاب من اليهود والنصارى بقراءة نص فى الكتاب؛ يُبين لهم فيه : أنه يجب عليهم البعد عن مجالس المستهزئين. وإذا قالوا للمسلمين : ليس عندنا فى الكتاب هذا النص؛ فإنه يتوجّبُ على المسلمين قراءة الكتاب؛ لإظهار هذا النّص منه، فعندنا الآن أمران : الأمر الأول : إظهار نص الكتاب. والأمر الثانى: إظهار نص القرآن الموافق فى المعنى لنص الكتاب.

التمهيد الثانى :

وفى الأحاديث النبوية : إن الراوى قد يحكى عن النبى صلى الله عليه وسلم حكاية. يَرِد على خاطره وهو يحكيها أن الناس لن تصدق بروايته؛ ولذلك فإنه بعد الفراغ من حكايته؛ يقول : اقرأوا إن شئتم قول الله تعالى فى القرآن الكريم. ثم يذكر نص القول من القرآن. فعندنا ثلاثة أمور: الأمر الأول: نص القرآن المذكور فى الحديث. والأمر الثانى: نص القرآن المذكور فى المصحف، وهو النص الذى يريد الراوى أن يقوى به حكايته. والأمر الثالث: قياس المعنى الذى أورده الراوى فى حكايته، على المعنى المستفاد من النص القرآنى. لنرى هل أحسن الراوى أم أساء؟ وهل صدق أم كذب؟ لأنه باستشهاده بالنص القرآنى؛ يكون القرآن وحده هو الشاهد بصدقه، لاتعدد الرواة، ولا معرفة أحوالهم.

وقد ذكر الله تعالى فى القرآن، وهو يثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمورا؛ يعلم أن اليهود لن يقرّوا بها. واحتج على صحة هذه الأمور بالتوراة التى يقرأونها ولا يفقهونها. ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ والنص فى التوراة فى سفر التكوين. فعندنا ثلاثة أمور : الأمر الأول : نص القرآن وهو ﴿كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنزّل التوراة﴾ والأمر الثانى: نص التوراة عن أن كل الطعام كان حلا. وهو فى سفر التكوين الإصحاح التاسع، والإصحاح الثانى والثلاثين. والأمر الثالث إثبات صدق الخبر أو كذبه

بالتطابق أو بعدم التطابق. وهو هنا صادق بتطابق ماجاء فى القرآن مع نظيره فى التوراة بالمعنى.

تأمل فى المثال الذى ذكرناه من الأحاديث النبوية. تجد أن القرآن فى نظر الراوى وفى نظر جميع المسلمين هو الحجة البالغة؛ ولذلك أحال إليه، ليكسب كلامه قوة. ومعنى هذا : إن روايته لايحل لأحد أن يصدقها إلا إذا توافقت معه فى المعنى. وهكذا كان حال التوراة فى بنى إسرائيل والأمم الذين يعملون بها مع بنى إسرائيل. هى الحجة البالغة. فى نظرهم. مع علمهم بأنها محرفة على يد «عَزرا» وهى إلى اليوم على كتابة «عزرا» إذ لم تحرف من بعده إلى زماننا هذا.

ولذلك لايُقرِّر عالم حكما إلا بالاستناد عليها مع علمه بتحريفها فى «بابل» على يد «عزرا» ومن يقرر حكما بدون سند من التوراة؛ فإن هذا الحكم لا يُقبل. سواء أكان المقرر له عالما أم نبيا أم ملكا من الملوك. وتعرف هذا من المثال الذى ذكرناه عن الأطعمة؛ فإنه قد أحال إليها ـ وهى محرفة ـ لإثبات صحة قوله؛ وهو قد أحال إليها؛ لأنها مقدسة عندهم ومنها ياخذون الأحكام. وإذا أثبت صحة قوله على حسب معتقدهم؛ فإنه يتوصل به إلى غرضه وهو إثبات نسخ محمد ﷺ لشريعة التوراة. وذلك لأن كل الأطعمة كانت مباحة للناس من أيام نوح عليه السلام وظلت الإباحة قائمة إلى مجىء موسى بالتوراة. وفيها تحريم أطعمة كانت من قبل مباحة. وتحريم الذى كان حلا، هو نسخ للحل بالحرمة. فلماذا يستبعدون نسخ القرآن للتوراة؟

ويبين المثال الذى ذكرناه عن بعدهم عن مجالس المستهزئين: أنهم هم المستهزءون؛ وذلك لأن فى نص الكتاب الذى أنزله عليهم، بعد أمرهم بعدم مجالسة المستهزئين آيات تدل على محمد ﷺ بحسب لغتهم. وفى هذه الآيات[1] : أن المعاندين لله من بنى إسرائيل ومن أمم الكفر، سيرفضون الدخول فى شريعته، وسيحاربونه حروبا شديدة؛ وذلك لمحو دعوته. ولكن الله يستهزئ بهم، ويمدهم في طغيانهم يعمهون. فكأنه يقولُ لهم : إننى أمرتكم بالبعد عن مجالس المستهزئين، وأمرتكم بالدخول فى دين محمد ﷺ فادخلوا فيه مع الداخلين، واركعوا فيه مع الراكعين.

---

(١) الآيات: فى المزمور الثانى.

التمهيد الثالث :

تأمل فى المثال الأول الذى ذكرناه تجد أن كلمة ﴿الكتاب﴾ وهو التوراة تدل على الكتاب كله. وهو مجلد ضخم ومقسم إلى أسفار وإصحاحات وآيات. ولا أحد يحفظه عن ظهر قلب. وتجد أن النص المطلوب إظهاره؛ مُشار إليه بالمعنى. وهو ﴿أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾ وعلى ماتجد؛ كيف تُظهر النص المطلوب إظهاره؟

لا يقدر غير الراسخين فى العلم من أهل الكتاب على إظهاره. وإذا كان هذا هو حال صاحب الكتاب؛ فما هو الظن بغيره من أهل الإسلام؟ إنه لن يقدر أحد منهم على إظهاره إلا بجهد جهيد. ونص الكتاب : هو «طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزءين لم يجلس. لكن فى ناموس الرب مسرته. . . .» [مزمور ١:١ ـ]

التمهيد الرابع :

كان يحيى عليه السلام من أنبياء بنى إسرائيل العظام وكان يفتى فى الدين، ويذكر نص التوراة على صحة فتواه. وبدون نص من التوراة لم يكن يتكلم فى الدين. وكان يشبه علماء المسلمين فى ذكر الرأى ودليله. مع فارق وهو أن دليل المسلم العالم: من القرآن، ودليله هو: من التوراة. ومثال ذلك :

فى ابتداء الصوم عند المسلمين يقول علماء المسلمين : إن الله تعالى قد فرض عليكم أيها المسلمون على شريعة محمد صيام شهر من السنة. هو شهر رمضان. وليس المراد كل الشهر بلياليه وأيامه، بل الأيام فقط. ويبدأ اليوم من الفجر إلى مغرب الشمس. وأما الليالى؛ فإنه يحل فيها الأكل والشرب والرفث إلى النساء. كسائر ليالى السنة. ودليل هذا من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه...﴾ إلخ.

وفى ابتداء الصوم عند بنى إسرائيل يقول يحيى، وغيره من علماء وأنبياء بنى إسرائيل أن الله تعالى قد فرض عليكم أيها المسلمون على شريعة موسى صوم اليوم العاشر من الشهر السابع لخروجكم من مصر. ودليل هذا من التوراة : قوله تعالى : «أما العاشر من هذا الشهر السابع؛ فهو يوم الكفارة. محفلا مقدسا يكون لكم. تذللون

نفوسكم. . .» إلخ.

التمهيد الخامس :

روى كتاب الأناجيل المقدسة عند المسيحيين : أ ـ أن يحيى عليه السلام كان يبشر فى مدن بنى إسرائيل بظهور نبى قوى سيأتى من بعده ب ـ وأن يحيى وهو يبشر به، كان يذكر نصوصا من التوراة تدل على هذا النبى القوى الذى سيأتى من بعده. مثله فى ذلك مثل المفتين من علماء بنى إسرائيل وعلماء المسلمين. فى إظهار الرأى والتدليل عليه.

وروى كتاب الأناجيل : أ ـ أن عيسى عليه السلام من بعد ما أُسلم يحيى؛ كان يبشر بمثل ما بشر به يحيى ب ـ وأن عيسى وهو يبشر به؛ كان يذكر نصوصا من التوراة. هى نفسها النصوص التى استدل بها يحيى وزيادة.

ومعنى ذلك : ١ـ أن إنجيل يوحنا المعمدان هو نفسه إنجيل المسيح عيسى ابن مريم. ولا فرق. ٢ـ وأن المسيح عيسى ابن مريم لم يبتدئ بالتبشير فى حياة يوحنا، وإنما ابتدأ به من بعد موته. ٣ـ وأنهما إنجيلان لا واحد. إنجيل للمعمدان، وإنجيل ليسوع. وما تركه يسوع هو نفسه الذى تركه يحيى. الذى هو يوحنا المعمدان.

أ ـ تأمل فى بدء إنجيل مَرقس. ١ـ تجده يذكر كلام المعمدان عن النبى الآتى من بعده. ثم يقول : إنه من بعد موت المعمدان؛ ابتدأ يسوع فى التبشير بملكوت الله.

٢ـ وأن المعمدان كان يكْرِز قائلا :يأتى بعدى من هو أقوى منى .

٣ـ وأن مكان كرازته : هو أرض فلسطين.

ب ـ تأمل فى بدء إنجيل مرقس أيضا؛ تجد أن مرقس ابتدأ كلامه عن المعمدان بذكر نص من التوراة، يستشهد به على أن أقوال المعمدان عن النبى الآتى من بعده؛ صحيحة؛ لشهادة التوراة بصحتها، أى أنه لكى يقنع القارئ بأن مافعله المعمدان صحيح؛ ذكر نص التوراة الدال على صحة فعله. وهذا يدل على أن أنبياء بنى إسرائيل وعلمائهم كانوا يُعظّمون التوراة، ويستدلون منها على الفتاوى والأحكام.

وكتّاب الأناجيل كتبوا فيها الفتوى ودليلها من التوراة. وكتبوا فيها أيضا ما أرادوا

إقناع الناس بصحته، واستدلوا على ما أرادوا الإقناع به بالتوراة. تأمل فى بدء إنجيل مرقس وهو :

«كما هو مكتوب فى الأنبياء :

أ ـ «ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى، الذى يهيئ طريقك قدامك» .

ب- «صوت صارخ فى البرية : أعدُّوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة» كان يوحنا يعمد فى البَرِّيَّة، ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهلُ أورشليم، واعتمدوا[1] منه فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم. وكان يوحنا يلبس وبر الإبل، ومنطقة من جلد على حِقويه، ويأكل جرادا وعسلا بَريًا. وكان يكرز قائلا : يأتى بعدى من هو أقوى منى، الذى لستُ أهلا أن أنحنى، وأحل سيور حذائه. أنا عمدتكم بالماء، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس» [مر ١ :٢ - ٨]

البيان :

أولاً : إنه قال : «كما هو مكتوب فى الأنبياء» ثم شرع فى ذكر الدليل من كتب الأنبياء على مايريد إقناع الناس به. فما هو المراد من الأنبياء؟ إن التوراة هى الكتاب المنسوب إلى موسى عليه السلام وقد جاء من بعده على سنَّته وطريقته أنبياء مثل

---

(١) أشار الله فى القرآن الكريم إلى المعمودية بقوله: ﴿صبغة الله﴾ ووجه الشبه بين الصبغة وبين الدخول فى الإسلام هو أن يحيى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وتَلاميذهما كان كل منهم ينادى فى بنى إسرائيل بأن يتركوا الحسد لبنى إسماعيل ويستعدوا للدخول فى دين النبى الآتى منهم، وكان من يتوب منهم يأخذه الداعى إلى نهر الأردن، ويغمسه فى الماء دلالة على أنه انفصل عن العصاة من قومه وتطهر وتزكى، وبدأ حياة جديدة وهذه الحياة الجديدة، يعبرون عنها بالولادة من الله، أى أنه استقبل أياماً غير الأيام التى كان هو فيها وهو قد كان فيها فى ظلمات، كما أن الجنين يكون وهو فى بطن أمه فى ظلمات وهذه الحياة الجديدة فيها استعداد للدخول فى دين النبى الآتى. وإذا ظهر ودخل فى دينه؛ فإنه يكون فى الحياة الجديدة مؤمنا بمثل ما كان فى الحياة القديمة وهى الحياة التى كانت فيها شريعة موسى ويكون وهو فى الإيمان بالشريعة الجديدة نظيفا وطاهرا كالرجل المستحم بالماء للدخول فى الصلاة، وقد عبر الله فى القرآن عن هذا بقوله: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ ثم قرن الله تعالى بين العاملين بالشريعة القديمة والشريعة الجديدة فقال: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾

وغرضه من ﴿صبغة الله﴾: هو أنه يذكرهم بفعل يحيى وعيسى وتلاميذهما. ويقول: إن ما كان يفعله كل واحد منهم كان يفعله من أجل محمد لغرض الإيمان به وها هو قد ظهر، فالإيمان به هو الصبغة والصبغة هى الإيمان به هما شيء واحد فلماذا تقولون: ﴿ كونوا هودا أو نصارى تهتدوا﴾؟ لماذا وهم كانوا يصبغون التائب لمحمد وحده؟

صموئيل وداود وسليمان وإشعياء ومَلاخِي. وكتبهم يُطلق عليها اسم «أسفار الأنبياء» ويطلق عليها أيضا اسم «التوراة»؛ لأن المعانى التى هى فيها لاتخالف التوراة، وأُطلقت عليها اسم التوراة مجازا، من باب إطلاق الجزء، وإرادة الكلّ. وقد ذكر مرقس دليلين على صحة كرَازة المعمدان، لا على صحة المعمودية. الدليل الأول : من سِفر ملاخِي والدليل الثانى : من سفر إشَعياء.

ثانيا: قوله فى الأنبياء. ثم ذكره الكلام منهما موصلا بعضه ببعض. لايعرفه غير الراسخين فى العلم منهم؛ لأن أسفار الأنبياء كثيرة ولا تُحفظ عن ظهر قلب. ومن يعرف من المسلمين أنهما نُبوءتان، من سِفرين اثنين؟ لا أحد يعرف إلا بجهد جهيد.

ثالثا: لايصح الاعتماد علي قول مرقس. إلا بعد النظر فى أسفار الأنبياء واستخراج دليله منها؛ وذلك لأنه لما كتب «كما هو مكتوب فى الأنبياء» كان يريد من المتشكك فى كلامه، أن يزيل شكّه بالرجوع إلى الأنبياء.

رابعا : يجب على المتشكك : قراءة الدليل كاملا؛ لاحتمال . أنه لغرض ما، أخذ من النص جزءا يدل على صحة غرضه، وترك من النص مالايدل.

خامسا: عندنا أربعة أمور : الأمر الأول : النص المكتوب فى الأنبياء. والأمر الثانى : النص المنقول من الأنبياء فى الإنجيل. والأمر الثالث : الغرض من الاستشهاد بالنص. والأمر الرابع : بيان أن الغرض صحيح أم لا.

التطبيق :

أما عن الشاهد الأول :

فنصه من سفر ملاخى : «ها أنذا أُرسل ملاكى؛ فيهيئ الطريق أمامى، ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه، وملاك العهد الذى تُسرُّون به. هو ذا يأتى. قال رب الجنود. ومن يحتمل يوم مجيئه؟ ومن يثبتُ عند ظهوره؟ لأنه مثل نار الممحِّص، ومثلُ أشنان القَصَّار؛ فيجلس ممحصا ومنقيا للفضة؛ فينقى بنى لاوِى، ويصفّيهم كالذهب والفضة؛ ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبِرّ» [ملا ٣: ١ - ٣] والمعنى : أن الله سيرسل «ملاكه» ليهيئ الطريق أمام «السيد» فمن هو الملاك؟ ومن هو السيد؟ هما اثنان.

ثم قال عن السيد : إنه إذا ظهر؛ سيحارب بنى إسرائيل، وسيهلك الأشرار

المنافقين من بنى لاوى - الذين هم علماء بنى إسرائيل - وبين أن المراد بـ «ملاكى» ليس نبيا واحدا، بل أنبياء كثيرون. هم فى الطهر والصلاح شبيهون بالملائكة النّورانيين وأن «السيد» - وهو النبى الأمى الآتى على مثال موسى - هو أيضا «ملاك» ويتميز عن السابقين عليه بأنه «ملاك العهد»

وأما عن الشاهد الثانى :

فنصه من سفر إشعياء : «عَزُّوا عزُّوا شعبى. يقول إلهكم. طيِّبوا قلب أورشَليم، ونادوها بأن جهادها قد كَمل. أنَّ إثمها قد عُفى عنه. أنّها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها.

صوتُ صارخٍ فى البَرِّيَة. أعدُّوا طريق الرب. قوِّموا فى القفر سبيلا لإلهنا. كل وِطاء يرتفع، وكل جبل وأكمة ينخفض، ويصير المعوج مستقيما، والعراقيب سَهْلا. فيُعلَنُ مجدُ الرب، ويراه كل بشر؛ لأن فم الرب تكلم.

صوت قائل ناد. فقال: بماذا أُنادى؟ كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل، يبس العُشْب، ذَبُل الزهر؛ لأن نفخة الرب هبّت عليه. حقا. الشعب عُشب. يبس العُشب، ذبُل الزّهر. وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد.

على جبل عال اصعدى يامبشِّرة صِهيَوْن. ارفعى صوتك بقوة يامُبشرة أورشليم. ارفعى لاتخافى. قولى لمدن يهوذا : هو ذا إلهك. هو ذا السيد الرب بقوة يأتى، وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه، وعُملته قدامه، كراع يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان، وفى حضنه يحملها، ويقود المرضعات» [إش ٤٠ : ١ - ١١]

والمعنى : أن شعب الله المختار من الله لحمل رسالته إلى الأمم، قد جاء الوقت الذى لن يكون فيه مختارا؛ وذلك لأن الله وعد بنى إسرائيل بأنه سيرسل لهم نبيا من وسط إخوتهم مثل موسى، وسيجعل كلامه فى فمه، وأن كل من لايسمع لذلك النبى؛ يُباد ويهلك. وعبر الله عن وعده بـ «كلمة»؛ وذلك لأن الوعد، قد سمعوه بالكلام. فقال: «وأما كلمة إلهنا؛ فتثبت إلى الأبد» وفى زمان هذا النبى سيكثر الخير، ويعم السلام. ولذلك فرح بمقدمه بنو إسرائيل. ويفرحون بمن يبشرهم باقتراب زمانه. وبين إشعياء أنه إذا جاء هذا النبى؛ فإنه سيأتى بقوة من الله، وسيحارب أعداءه وسينتصر

عليهم، وسيكون بالمؤمنين رءوف رحيم. وعبر عن رأفته ورحمته بأنه مثل الراعى الذى يجمع الحملان الصغار، ويُشفق عليها.

اقتباسات كُتّاب الأناجيل من التوراة :

أعد قراءة النص الذى صدّر به مَرْقس إنجيله. وهو: «كما هو مكتوب فى الأنبياء : ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى، الذى يهيئ طريقك قدامك. صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب. اصنعوا سبله مستقيمة. . . وكان يكْرِز قائلا : يأتى بعدى من هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه» تجد :

١ـ نص التوراة الذى هو الآن فى التوراة.

٢ـ ونص التوراة الذى نقله كاتب الإنجيل من التوراة، ووضعه فى الإنجيل.

ويقول العلماء فى هذا الشأن : إن نص التوراة المكتوب فى الإنجيل؛ مقتبس من التوراة اليونانية.

والاقتباسات فى الأناجيل كثيرة جدا. وكثير منها قد وضعه الكتّاب فى الأناجيل لغرض التحريف. كما بينا بوضوح فى كتابنا «اقتباسات كُتّاب الأناجيل من التوراة» .

وبعد هذا الذى قدمناه نقول :

أولا : إن المعمدان بشر بمحمد ﷺ . واستدل على مجيئه من بعده بالتوراة. والأدلة التى استدل بها عنه، هى نفسها الأدلة التى استدل بها عنه المسيح عيسى عليه السلام. فلماذا جاء فى القرآن لفظ «الإنجيل» مضافا إلى المسيح عيسى عليه السلام، ولم يجئ مضافا إليه، وإلى النبى يحيى؟

ثانيا : ماهى أوجه الاتفاق والاختلاف [1] بين إنجيل يحيى وإنجيل عيسى؟

---

(١) يوجد تناقض فى الإنجيل عن الصلة بين المعمدان ويسوع. فى الزمان. ففى إنجيل متى: أنه فى زمان ولادة يسوع كان المعمدان قائما بالدعوة. وفى نفس الإنجيل: أنه بعدما وصّى المسيح تلاميذه الاثنى عشر بالدعوة إلى اقتراب ملكوت السموات. وكان يوحنا وقت الوصية فى السجن؛ أرسل يوحنا اثنين من تلاميذه إلى المسيح ليسألاه: أنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ {متى١١:١ ـ }

وفى إنجيل مرقس: «وبعدما أُسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله» {مر ١:١٤}

وفى لوقا: أن يوحنا أخبر تلاميذه بمعجزات المسيح بعد إحيائه ابن أرملة نايين، وأرسل اثنين من تلاميذه ليسألا يسوع: أنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ {لو٧: ١٨ ـ }

وفى إنجيل يوحنا: أن المعمدان كان يعمد فى حياة يسوع «وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، ومكث معهم هناك. وكان يُعَمد. وكان يوحنا أيضا يعمّد» {يو٣: ٢٢ ـ }

ثالثا : لماذا أطلق النصارى لقب «العهد الجديد» على إنجيل عيسى وحده، وقالوا : إن المعمدان كان يبشر بعيسى؟

رابعا : لماذا يَقْرِن النصارى بين التوراة وإنجيل عيسى عليه السلام؟

وهذا مع تناقض الأناجيل، واختلافها فى سرد الوقائع. ومثال ذلك :

يقول متى : إنه بعد موت هيرودس، رجع المسيح إلى أرض فلسطين، وفى أثناء رجوعه وهو صبى مع أمه؛ كان يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية [متى ٢و٣]، أى أن المعمدان كان يدعو فى أيام ولادة المسيح. وكان يدعو فى حياة هيرودس. مع أن المؤرخين يقولون : إن هيرودس مات من قبل ولادة المسيح. اضبط هذا. ثم اقرأ قول لوقا : إن «ليسانيوس» كان رئيس رُبع على الأبلية، فى بدء كَرَازة المعمدان [لو٣:١] وكان «هيرودس» رئيس ربع على الجليل. وأن «ليسانيوس» مات سنة ست وثلاثين أو أربع وثلاثين من قبل الميلاد. وعلى هذا يكون عمر المسيح ٣٣ + ٣٦ = ٦٩ ويضاف إلى ٦٩ مدة فترة صبًا المعمدان التى هى قبل كرازته. فيكون المسيح ﴿كهلا﴾ أثناء تبشيره، وقيامه بالدعوة. يقول مفسرو إنجيل لوقا : «أما بالنسبة إلى ليسانيوس؛ فهذه مشكلة. ويتحدث «يوسيفوس» عن رجل بهذا الاسم، حكم بلادا شاسعة من عاصمته «كالكيس Chalcis» حتى موته عام ٣٦ أو ٣٤ ق.م» أ.هـ

[تمت التمهيدات]

إنجيل يوحنا المَعْمَدَان

النص الأول :

ملكوت السموات

يقول متّى : «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكْرز فى بريّة اليهودية قائلا : توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات؛ فإن هذا هو الذى قيل عنه بإشعياء النبى القائل : «صوت صارخ فى البَرِّيَّة : أعدُّوا طريق الرب. اصنعو سبله مستقيمة» .

فى التوراة : أن دانيال النبى فى الأصحاح السابع من سفره؛ أنبأ عن قيام أربعة ممالك على الأرض ـ والمملكة تسمى ملكوت ـ والممالك هى: ١ـ مملكة بابل ٢ـ ومملكة فارس ٣ـ ومملكة اليونان ٤- ومملكة الرومان. ثم يظهر نبى من الأنبياء. ويتوجه بأصحابه إلى بلاد فلسطين التى يحكمها الرومان؛ ليفتحها،ولينشر فيها دين الله. وليقيم مملكة لله على الأرض. تستمر على طول الزمان ونسب ملكوته إلى الله؛ ليتميز عن ملكوت الناس، الذين يحكمون أنفسهم بشرائع من عند أنفسهم.

ويحيى عليه السلام كان فى بدء مملكة الرومان. وكان يهيئ بنى إسرائيل للإيمان بهذا النبى. ويقول : «توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» .

وقد تطابق هذا مع القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿الم. غُلبت الروم . فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلِبُون . فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون. يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ وقوله تعالى : ﴿وعد الله لايخلف الله وعده﴾ يشير به إلى نص إشعياء وهو «صوت صارخ فى البرية. . .» لأن فيه : «وأما كلمة إلهنا؛ فتثبت إلى الأبد» .

النص الثانى :

صوت صارخ فى البرية

إن قول إشعياء : «صوت صارخ فى البرية. . .» يدل على أن إشعياء وغيره يصرخون قائلين : أعدوا طريق رسول الرب، أى اقبلوا نبوة النبى الآتى على مثال موسى. والمعمدان يقول معهم : أعدوا طريق رسول الرب. وعليه فإنه يكون مبشرا

بمحمد ﷺ بنص إشعياء عنه؛ فيكون نص إشعياء كنص دانيال؛ نبوءة عن محمد ﷺ والمعمدان يشير إليه لقراءته وفهم معناه.

النص الثالث :

ابــن الله

قال المعمدان عن محمد ﷺ : «لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا، إن لم يكن قد أعطى من السماء. أنتم أنفسكم تشهدون لى : أنى قلتُ : لستُ أنا المسيح، بل إنى مرسل أمامه. من له العروس؛ فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه؛ فيفرح فرحا من أجل صوت العريس. إذا فرحى هذا قد كَمَلَ. ينبغى أن ذلك يزيد وانى أنا أنقص. الذى يأتى من فوق؛ هو فوق الجميع، والذى من الأرض؛ هو أرضى، ومن الأرض يتكلم. الذى يأتى من السماء هو فوق الجميع. وما رآه وسمعه؛ به يشهدُ. وشهادته ليس أحد يقبلها. ومن قبل شهادته؛ فقد ختم أن الله صادق؛ لأن الذى أرسله الله؛ يتكلم بكلام الله؛ لأنه ليس بكيل يعطى اللهُ الروحَ. الآب يحب الابن، وقد دفع كل شىء فى يده.

الذى يؤمن بالابن؛ له حياة أبدية. والذى لايؤمن بالابن؛ لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله»[1] [يو٣ : ٢٧ - ٣٦] .

البيان :

١ - إنه قال : «لستُ أنا المسيح» فمن هو هذا «المسيح»؟ وقد كرر هذا النفى. فقد روى لوقا : «وإذ كان الشعب ينتظر، والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا؛ لعله المسيح. أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعمدكم بماء، ولكن يأتى من هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس، ونار. الذى رفشُه فى يده، وسيُنَقِّى بَيْدره، ويجمع القمح إلى مخزنه، وأما التبن؛ فيحرقه بنار لا تُطفأ» [لو ٣ : ١٥ - ١٧]

هذا «المسيح» هو محمد ﷺ بلغة أهل الكتاب، وينطقونه أيضا : «المَسِيّا» ففى إنجيل يوحنا : «مَسِيًّا الذى يُقال له : المسيح» [يو ٤ : ٢٥] .

٢- إنه قال : «الذى يؤمن بالابن؛ له حياة أبدية، والذى لايؤمن بالابن؛ لن

(١) قال الله فى القرآن عن اليهود: ﴿المغضوب عليهم﴾

يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله» إن «الابن» بالألف واللام. يدل على ابن معروف. ولابد أن يكون معروفا من نص التوراة عليه. فمن هو هذا «الابن» المعروف؟ إنه هو محمد رسول الله ﷺ ؛ وذلك لأن الزبور الأول والثانى لداود عليه السلام وهما فى الأصل زبور واحد. يتكلم عن النبى الأمى الآتى على مثال موسى بلقب «الابن» على عادة بنى إسرائيل فى الحديث عن أنفسهم. ففى سفر الزبور : «أنا قلت : إنكم آلهة، وبنو العلى كلكم» [مز ٨٢ : ٦] .

نص نبوءة الابن من التوراة :

«لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب فى الباطل. قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا، على الرب وعلى مسيحه، قائلين : لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما.

الساكن فى السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. أم أنا فقد مسحتُ ملكى على صهيون، جبل قدسى.

إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى : أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألنى؛ فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك. تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسرهم.

فالآن يا أيها الملوك تعقّلوا. تأدبوا ياقضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة. قبلوا الابن لئلا يغضب؛ فتبيدوا من الطريق؛ لأنه عن قليل يتّقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» [مز ٢]

النص الرابع :

إرث الأرض

قال الله تعالى : فى القرآن الكريم : ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾

وقد استدل يوحنا المعمدان - عليه السلام - بالمزمور الثانى على مجىء محمد ﷺ من بعده فقال : «الذى يؤمن بالابن؛ له حياة أبدية، والذى لايؤمن بالابن؛ لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله»، ومما جاء عن محمد ﷺ الملقب فى لسان بنى إسرائيل بالابن : «اسألنى؛ فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك»

وهذا النص يدل من الزبور وشبهه: على أن الأرض يرثها المسلمون أتباع محمد ﷺ .
وسنبين من المكتوب فى التوراة، شيئا عن إرث المسلمين للأرض، ثم نبين من المكتوب فى الزبور، شيئا.

أولا : المكتوب فى التوراة :

١ـ قال الله لإبراهيم عليه السلام : «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» {تك١٢ :٣} .

٢ـ قال الله لإبراهيم : «انظر إلى السماء، وعد النجوم إن استطعت أن تعدها. وقال له : هكذا يكون نسلك؛ فآمن بالرب فحسبه له برا. وقال له : أنا الرب الذى اخرجك من أور الكلدانيين؛ ليعطيك هذه الأرض؛ لترثها» {تك ١٥ : ٤ - ٥}

٣ـ «فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض. من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات» {تك ١٥ : ١٨} .

٤ـ «يكون اسمك إبراهيم؛ لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما. وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا» {تك ١٧ : ٢٠} .

٥ـ «وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا : أباركها فتكون أمما .وملوك شعوب منها يكونون»

٦ ـ «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا» {تك ١٧ : ٢٠} .

٧ـ «ورأت سارة، ابن هاجر المصرية، الذى ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت لإبراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها؛ لأن ابن هذه الجارية لايرث مع ابنى إسحق. فقبح الكلام جدا فى عينى إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم : لايقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. فى كل ماتقول لك سارة؛ اسمع لقولها. لأنه بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» {تك٢١ : ٩ -١٣}

٨ - «ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء، وقال : بذاتى أقسمتُ يقول الرب: إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولى» {تك ٢٢ :١٥ - ١٨}

ومن هذه النصوص يتبين : أن إرث الأرض لنشر دين الله فيها؛ مشترك بين إسماعيل وإسحق. ولكل منهما مدة من الزمان للملك على الأمم والشعوب. ويبدأ إرث الأرض من ظهور نبى مشرّع، من نسل الواحد منهما. ويقوم النسل الذى مع الأول بفتح البلاد وإقرار الشريعة فيها. ويستمر النسل وارثا للبلاد التى فتحها إلى أن تنتهى مدة الإرث للأول بظهور النبى الآتى من النسل الآخر. وإذا ظهر؛ يقوم نسله معه بفتح البلاد وإقرار الشريعة الجديدة فيها. وبذلك يكون النسل الآخر وارثا للبلاد، عوضا عن الوارث الأول. ويكون الوارث الأول قد ضاع حقه فى الإرث، والملك. بظهور الوارث الجديد.

وقد بين يعقوب عليه السلام أن الملك سيزول من بنيه، وسينتهى حقهم فى إرث البلاد إذا جاء «شيلون» فإنه إذا جاء، ستخضع له كل الأمم والشعوب. وشيلون الذى هو نبى الأمان. يكون من نسل إسماعيل عليه السلام؛ لأن له بركة؛ ولأنه وارث فى إبراهيم. ذلك قوله : «لايزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون. وله يكون خضوع شعوب» {تك ٤٩ : ١٠}

ووصف الله اليهود فى التوراة بأنهم أشرار. وبأنه سيغيظهم بنزع الملك منهم ونسخ الشريعة. فقال : «أحجب وجهى عنهم، وانظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيل متقلب. أولاد لا أمانة فيهم. هم أغارونى بما ليس إلها. أغاظونى بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعبا. بأمة غبية أغيظهم» {تك ٣٢ : ١٩ - ٢١}

وقال حزقيال النبى فى هذا المعنى : «وأنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الذى قد جاء يومه فى زمان إثم النهاية. هكذا قال السيد الرب. انزع العمامة، ارفع التاج. هذه لاتلك. ارفع الوضيع، وضع الرفيع. منقلبا. منقلبا. منقلبا أجعله. هذا أيضا لايكون؛ حتى يأتى الذى له الحكم؛ فأعطيه إياه» {حز ٢١ : ٢٥ - ٢٧} وهذا الذى له

الحكم وهو نفسه شيلون. الآتى من الأمة الغبية الأمية بنى إسماعيل؛ هو محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله بارك فى إسماعيل كما بارك فى إسحق - عليهما السلام - فيكون إرث الأرض من بعد بنى إسرائيل؛ لعباد الله الصالحين، أتباع محمد ﷺ.

ثانيا : المكتوب فى الزبور :

أول نص فى الزبور عن إرث محمد ﷺ هو وأتباعه من بنى إسماعيل والأمم للأرض هو فى أول الزبور. وأول الزبور. هو الذى استدل به يوحنا المعمدان على مجىء محمد ﷺ من بعده؛ طبقا لراوية الإنجيل. وهى : «الذى يؤمن بالابن؛ له حياة أبدية . . . إلخ» فيكون فى الإنجيل الذى تركه المعمدان بخط يده، وتداوله أتباعه من بعده؛ كل نبوءات التوراة عن حق بنى إسماعيل فى إرث الأرض. ومنها نبوءة المزمور الأول والثانى. وهما فى الأصل نبوءة واحدة. ونبوءة الزبور السابع والثلاثين. ونبوءات فى سفر إشعياء وفيها : «ويرث نسلك أمما» [إش ٤٥] وهذا هو نص الزبور السابع والثلاثون :

يقول الله للنبى الأمى بظهر الغيب :

«لاتغر من الأشرار، ولاتحسد عمَّال الإثم؛ فإنهم مثل الحشيش؛ سريعا يُقطعون، ومثل العشب الأخضر؛ يذبلون. اتكل على الرب، وافعل الخير. اسكن الأرض، وارع الأمانة، وتلذذ بالرب؛ فيعطيك سؤل قلبك. سلّم للرب طريقك، واتكل عليه، وهو يجرى ويخرج مثل النور برَّك وحقك مثل الظهيرة. انتظر الرب، واصبر له، ولاتغر من الذى ينجح فى طريقه، من الرجل المجرى مكايد. كف عن الغضب، واترك السخط، ولاتغر لفعل الشر؛ لأن عاملى الشر؛ يُقطعون، والذين ينتظرون الرب؛ هم يرثون الأرض بعد قليل لايكون الشّرير تَطَّلِعُ فى مكانه؛ فلا يكون، أما الودعاء؛ فيرثون الأرض، ويتلذذون فى كثرة السلامة.

الشرير يتفكر ضد الصديق، ويحرّق عليه أسنانه. الرب يضحك به؛ لأنه رأى أن يومه آت. الأشرار قد سلّوا السيف، ومدوا قوسهم؛ لرمى المسكين والفقير، لقتل المستقيم؛ طريقهم. سيفهم يدخل فى قلبهم، وقسيهم تنكسر. القليل الذى للصدّيق خير من ثروة أشرار كثيرين؛ لأن سواعد الأشرار تنكسر، وعاضد الصّديقين الرب. الرب عارف أيام

الكملة، وميراثهم إلى الأبد؛ يكون.لايُخزون فى زمن السوء، وفى أيام الجوع يشبعون؛ لأن الأشرار يهلكون، وأعداء الرب كبهاء المراعى. فنوا. كالدخان فنوا. الشرير يستقرض ولايفى. أما الصديق فيترأف ويُعطى؛ لأن المباركين منه؛ يرثون الأرض، والملعونين منه؛ يُقطعون.

من قبل الرب؛ تتثبت خطوات الإنسان، وفى طريقة يُسر. إذا سقط لا ينطرح؛ لأن الرب مُسند يده. أيضا : كنتُ فتى وقد شخت، ولم أر صدّيقا؛ تُخلى عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزا. اليوم كله يترأف، ويُقرض. ونسله للبركة.

حد عن الشر، وافعل الخير، واسكن إلى الأبد؛ لأن الرب يحب الحق، ولا يتخلّ عن أتقيائه. إلى الأبد؛ يُحفظون. آما نسل الأشرار؛ فينقطع. الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد. فم الصّديق يلهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه فى قلبه. لاتتقلقل خَطواته. الشرير يراقب الصديق، محاولا أن يُميته. الرب لا يتركه فى يده، ولا يحكم عليه عند محاكمته. انتظر الرب، واحفظ طريقه؛ فيرفعك[1]؛ لترث الأرض. إلى انقراض الأشرار؛ تنظر.

قد رأيتُ الشرير عاتيا وارفا، مثل شجرة شارقة ناضرة. عبَر فإذا هو ليس بموجود، والتمسته فلم يوجد. لاحظ الكامل، وانظر المستقيم؛ فإن العقب لإنسان السلامة. أما الأشرار؛ فيُبادون جميعا. عقب الأشرار ينقطع. أما خلاص الصديقين فمن قبل الرب حصنهم فى زمان الضيق، ويُعينهم الرب وينجيهم، ينقذهم من الأشرار، ويخلّصهم؛ لأنهم احتموا به» [مز ٣٧] .

النص الخامس :

المسيح

«وإذ كان الشّعبُ ينتظر، والجميع يُفكّرون فى قلوبهم عن يوحنا؛ لعلّه المسيح. أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أُعَمّدكم بماء، ولكن يأتى من هو أقوى مِنّى. الذى لستُ أهلا أن أحلّ سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس، ونار. . .» إلخ [لو ٣: ١٥ ـ ١٧]، وقد شهد أمام وفد علماء بنى إسرائيل المرسل إليه من مدينة القدس؛ بأنه

(١) فى القرآن الكريم: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ .

ليس هو «المسيح الرئيس» .

«وهذه هى شهادة يوحنا، حين أرسل إليه اليهود من أورشليم كهنة ولاويين؛ ليسألوه · من أنت؟ فاعترف ولم يُنكر، واقر · انى لستُ أنا المسيح. فسألوه : إذاً ماذا؟ إيليّا أنت؟ فقال · لستُ أنا. ألنبى أنت؟ فأجاب · لا»

وقد شهد عيسى عليه السلام حين أرسل إليه اليهود من أورشليم كهنة ولاويين؛ ليسألوه : من أنت؟ فاعترف ولم يُنكر، وأقر : انه ليس هو المسيح. كما أقر يحيى عليه السلام. وهذا هو النص :

«فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم؛ ليتسقّطوه بكلامه. لذلك أرسلوا اللاويين ويعض الكتبة يسألونه قائلين :من أنت؟ فاعترف يسوع وقال: الحق أنى لستُ مسيا. فقالوا: أأنت إيلياء، أو إرمياء، أو أحد الأنبياء القدماء؟ أجاب يسوع: كلا. حينئذ قالوا: من أنت؟ قل: لنشهد للذين أرسلونا.

فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها. يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب، كما هو مكتوب فى إشعياء. قالوا : إذا لم تكن المسيح ولا إيلياء أو نبيا مّا؛ فلماذا تبشر بتعليم جديد، وتجعل نفسك أعظم شأنا من مَسِيّا؟

أجاب يسوع : إن الآيات التى يفعلها الله على يدى؛ تظهر أنى أتكلم بما يريد الله، ولستُ أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه؛ لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا» [بر ٤٢ : ٣ - ١٥]

التعليق :

١ - إن لقب «المسيح الرئيس» أو «المسيا المنتظر» ـ وهما لقبان لواحد. هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ هو مأخوذ من نبوءة موسى عليه السلام عن محمد ﷺ وهى: «يُقيم لك الرب إلهك نبيا. . .» إلخ [تثنية١٨ :١٥ - ٢٢]

٢ - وحيث إن المعمدان ويسوع قد اعترفا بأن «المسيح» فإنه من عاداتهم: تلقيب النبى بلقب المسيح أو المسيا.

٣ - فإنهما يكونان، فى إنجيليهما، عن وحى من الله، قد كتبا نص النبوءة وهو «يقيم لك الرب إلهك نبيا. . .» وفسراه تفسيرا حسنا على محمد ﷺ .

٤ - وعلى اعترافهما بأن هذا «المسيح» سوف يأتى من بعدهما، يكون فى الإنجيل الأصلى للمعمدان ويسوع؛ نبوءة النبى الأمى المماثل لموسى وما يتعلق بها من النصوص الدالة عليه. مثل: نبوءة شيلون وفاران والعهد والأمة الغبية ونبوءة بَلْعام وبركة إسماعيل. وكل ذلك يُعرف من قول كل منهما : لست أنا المسيح.

وهذه هى نبوءة النبى الأمى محمد رسول الله ﷺ؛ الملقب عند اليهود والنصارى بلقب «المسيح» وبلقب «المَسِيًّا»:

«يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا؛ لئلا أموت. قال لى الرب : قد أحسنوا فى ماتكلموا. أقيم لهم : نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه. وأما النبى الذى يُطغِى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبى.

وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب، ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى؛ فلا تخف منه» [تث ١٨ : ١٥ - ٢٢] .

وكل علماء أهل الكتاب يقولون : إن هذه النبوءة هى التى تدل على «المسيح المنتظر» الذى هو «المَسِيًّا» فيكون المسيح المنتظر «المَسِيًّا» هو محمد رسول الله ﷺ بلغة أهل الكتاب(١).

النص السادس :

النبى الأمى

قال يوحنا المعمدان فى كَرَازته : «أنا أُعمدكم بماء، ولكن يأتى مَنْ هو أقوى منى، الذى لستُ أهلا أن أحُلّ سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس، ونار. الذى رَفْشُه فى يده، وسينقى بيدَرَه، ويجمع القمح إلى مخزنه، وأما التِّبن؛ فيحرقه بنار لا تُطفأ» ـ

(١) راجع التقديم لكتاب الإعلام للقرطبى وراجع كتابنا: أزمنة الأمم. وهو فى نفى علامات الساعة .

«أنا أعمدكم بماء للتوبة. ولكن الذى يأتى بعدى؛ هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن أحل حذاءه»

من هو الآتى من بعد المعمدان؟ إنه يُعلن عن ١ـ غضب الله الآتى. ٢ ـ ومجىء الأعظم. وكان يعلن عن ذلك فى أرض «فلسطين» فى برية اليهودية، وهى الأرض التى تنحدر بشدة من تلال اليهودية إلى البحر الميت. وفى هذه المنطقة يقال : إنه كانت للمعمدان علاقة مّا بطائفة من الرهبان اليهود فى وادى قمران. ويؤكد هذا : اهتمامه معهم بمجىء المسيا فى آخر الأيام. وهى آخر أيام الملك والشريعة فى بنى إسرائيل؛ لأن لإسماعيل بركة. وقد أخذوا تعبيرا آخر الأيام من توصية إسرائيل لبنيه حين حضره الموت؛ فإنه قال لهم : «اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام» [تك ٤٩ : ١] ثم قال لهم : «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون. وله يكون خضوع شعوب» .

وكان اليهود من أيام سبى بابل يزعمون : أن النبى الآتى على مثال موسى سيكون من بنى إسرائيل؛ فلذلك خاطب العلماء من الفريسيين والصدوقيين بقوله لهم: «توبوا» يقول مفسرو الإنجيل : «إن قوله لهم «توبوا» لاتعنى أكثر من مجرد الأسف، أو مجرد الرجوع عن الأفكار، بل هى تردد نداءات أنبياء العهد القديم، المتكررة لإسرائيل بأن يرجعوا إلى الله وبأن يتخلوا عن عنادهم، وأن يرجعوا لطاعة العهد. وهذا التحول الجذرى أمر حتمى على ضوء حلول «ملكوت السموات» والذى يقصد به هنا: سلطان الله العادل فى الدينونة وفى الخلاص وهو العصر المسيّانى» أ.هـ .

يريدون أن يقولوا : إن المعمدان يأمرهم بالرجوع إلى العهد؛ لأن المسيا قد اقترب زمانه. فما هو المكتوب فى العهد؟

إن اليهود قد حرفوا التوراة فى عهد الله لإسماعيل بأن يأتى منه النبى المماثل لموسى. وكتبوا : إن العهد الدائم بالنبوة هو فى إسحق وحده. فى هذا النص : «وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابنا، وتدعو اسمه إسحق، وأقيم عهدى معه عهدا أبديا؛ لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله

أمة كبيرة. ولكنْ عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية» [تك ١٧ : ١٨ ـ ٢١] .

إن الله تعالى لما قال لإبراهيم عليه السلام : سر أمامى وادع الناس إلى معرفتى وحارب عبّاد الأصنام. وكان إبراهيم فى ذلك الوقت ابن تسع وتسعين سنة، وكان قد أنجب على الكبر إسماعيل وحده؛ طلب من الله تعالى : أن يعيش نسل إسماعيل أمامه فى دعوة الناس إلى معرفته، والقتال فى سبيله. فاستجاب الله له، ووعده بأن يظهر من نسل إسماعيل نبى يهدى إلى الله. وصرح له بالبركة فى إسماعيل. وهى تدل على الملك والنبوة. وقد حرف اليهود فى العهد. فنقلوه من إسماعيل إلى إسحق. وماكان إسحق قد ولد بعد. ثم قالوا : إن إسحق هو الذبيح. وأن العهد كان من قبل افتدائه بذبح عظيم. فهب أنه لم يفتد وقد ذبح بالفعل؛ فكيف يتحقق هذا العهد فيه؟ ولماذا تجعل التوراة إسماعيل وارثا فى إبراهيم إذا كان العهد فى إسحق على الدوام؟ ولماذا يجعل يعقوب الملك فى بنيه، مشروط دوامه، إلى أن يأتى شيلون؟

لكل هذا يقول المعمدان لعلماء بنى إسرائيل : إن محمدا الملقب منكم بالمَسِيّا وبالمسيح وبالابن وبالنبى؛ قد اقترب زمانه، ولن يكون منكم، وأنه سيهلك أعداءه.

وقال المعمدان : إنه سيعمدكم بالروح القدس ونار. وهذا قد أخذه من التوراة:

١ـ فإن الأنبياء كانوا يقولون : إنه فى العصر المَسِيّانى، سيسكب الله الروح على كل إنسان مؤمن بالمسيا. يعنون : أن الله سيقذف فى القلوب : طمأنينة وسكينة وثقة فى الأمن وفى السلام. ومن ذلك [إش ٣٢ : ١٥،٤٤ : ٣ وحز ٢٦:٣٦ - ٢٧و ٣٩: ٢٩ ويوئيل ٢: ٢٨ ـ ٢٩]. وفى مخطوطات قمران تجد أن هذه الجماعة قد تطلعت إلى التطهير بواسطة رش الله الناس «بروح قدس» و «روح حق»، أى ألا يخافوا ولا يحزنوا. ومن النصوص : «إلى أن يُسكب علينا روح من العلاء؛ فتصير البرية بستانا» ـ «أسكب روحى على نسلك، وبركتى على ذريتك» - «وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحى فى داخلكم، وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها»

٢ ـ وأما التعميد بالنار. فإن الأنبياء كانوا يقولون : إنه فى العصر المَسِيّانى ستكون حروب بين المؤمنين بالمسيا، وبين أعدائه. وهذه الحروب ستكون للمؤمن فتنة

وامتحان، وذلك للثبات على الإيمان. وستكون للعدو؛ تأديب؛ ليُجبر على النظر إلى الحق. ومن ذلك [إش ٤ : ٤ وزك ١٣ : ٩ وملاخى ٣ : ٢ بالمقارنة مع إش ١ :٢٥]
ومن النصوص : «استيقظ ياسيف على راعىّ، وعلى رجل رفقتى يقول رب الجنود. اضرب الراعى. فتتشتت الغنم، وأرد يدى على الصغار. ويكون فى كل الأرض يقول الرب : أن ثلثين منها يُقطعان ويموتان، والثلث يبقى فيها. وأدخل الثلث فى النار، وأمحصهم كمحص الفضة، وأمتحنهم امتحان الذهب. هو يدعو باسمى وأنا أجيبه. أقول : هو شعبى. وهو يقول : الرب إلهى» [زك ١٣ : ٧ - ٩] .

وكان الناس فى زمان المعمدان والمسيح عيسى ابن مريم - عليهما السلام - ينتظرون النبى الأمى الآتى على مثال موسى، ويلقبـونه بالمِسِيّا أو بالمسيح؛ ولأن اليهود كانوا يزعمون أنه سيكون منهم، لا من بنى إسماعيل؛ ابتدأوا فى التساؤل : هل يوحنا هو المسيح؟ وقد رفـض يوحنا هذه الفكرة. وأبدى ملاحظتين : الملاحظة الأولى : أنه سيأتى من هو أعظـم منه. والثانية : أن معموديته لاتضاهى معمودية ذاك الذى سيأتى من بعده.

أ - أما من ناحية أنه أعظم منه. فقد عبر عنها بقوله : إنه لايستحق أن يحل سير حذائه. وكان من عادة معلمى اليهود فى فلسطين : أنهم لم يكونوا يتقاضون أجرا من التلاميذ على تعليمهم. وفى مقابل ذلك؛ اعتاد التلاميذ أن يقدموا خدمات متنوعة، للمعلمين، إظهارا لامتنانهم. كما يقول المثل الذائع عندهم : كل مايقوم به الخادم لسيده؛ يقوم به التلميذ لمعلمه، ماعدا حل سيور حذائه؛ لأن هذا أمر يجاوز الحدود. بيد أن يوحنا اختار هذا العمل عينه، الذى كان المعلمون اليهود يعتبرونه عملا وضيعا، لايليق أن يقوم به أى تلميذ. وقال عن نفسه: إنه لايستحق حتى شرف القيام بهذا العمل، من أجل المسيح، الذى هو النبى الأمى الآتى على مثال موسى عليه السلام.

ب ـ وأما من ناحية المعمودية : فإن الإشارة إلى النار تعنى الدينونة الأخيرة لبنى إسرائيل على الأرض. ومعناها : إن النبى الأمى الآتى فى حال ظهوره؛ سيشنّ سلسلة من الحروب ضد اليهود؛ لتأديبهم على رفض شريعته.

وقد أيدت مخطوطات البحر الميت هذه الإشارة. ولفت «براونلى Brownlee»

الأنظار إلى هذه الإشارة [1]. وقد أيّده الواقع؛ وذلك لأن المعمدان دعا إلى اقتراب ملكوت السموات. ودعا معه يسوع المسيح، إلى اقترابه. وقد أتى الملكوت من بعدهما، وتأسس على الأرض بالحرب، ولم تقم لليهود إلى هذا اليوم قائمة.

* * *

ومن المؤكد : أن المعمدان لما نفى أنه هو «المسيح» ابتدأ فى شرح نبوءات التوراة عن «المسيح» وكان شرحه على هذا النحو :

بين الله تعالى فى التوراة وفى الإنجيل لعلماء بنى إسرائيل ولسائر الأمم : أن سيظهر محمد من آل إسماعيل بن إبراهيم ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا، وأنه سينسخ شريعة موسى وسيغير عوائده وشعائره. ووصف صحابته بالطهر والعفاف، وأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، وأنهم فى بدء الإسلام سيكونون جماعة صغيرة، ثم تنمو رويدا رويدا، حتى يكونون كباراً، يعمل الناس لهم ألف حساب وحساب.

ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين : أن الله تعالى قد قال لإبراهيم : «سر أمامى. وكن كاملا. فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا» والمعنى : امش فى الناس بالدعوة إلى دينى وعرفهم بى؛ لينبذوا عبادة الأوثان. وكن كاملا أى أمّة وقدوة فى عمل الخير. ولئن التزمت بالدعوة والقدوة؛ أجعل عهدى معك بالنبوة والرسالة والملك على الأمم.

وقد التزم إبراهيم عليه السلام ومن أجل ذلك قال الله له: سأجعل عهدى بالنبوة والرسالة والملك على الأمم فى نسل إسحق عليه السلام إذا مشوا بالدعوة إلى وكانوا قدوة فى عمل الخير. فقال إبراهيم لله. وإسماعيل ولدى البكر. أتمنى أن تجعل العهد فى نسله أيضا. فيكون العهد بالنبوة والرسالة والملك مشتركا بين إسماعيل وإسحق. ويكون لهذا مدة، ولهذا مدة.

هذا هو ما قاله إبراهيم لله، وهذا هو رد الله عليه ـ حسبما تنص التوراة ـ فإن فيها : «وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك... فقال الله. وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره. وأكثره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة» وقد حمل بركة إسحق بالتوراة موسى عليه السلام. وحمل بركة

(١) التفسير الحديث للكتاب المقدس ـ إنجيل لوقا ـ دار الثقافة بمصر.

إسماعيل بالقرآن محمد عليه السلام. وبيان ذلك:

١ـ أن إسماعيل عليه السلام سكن مع أمه فى برية فاران. وهى أرض مكة المكرمة، ففى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين : «ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك ياهاجر؟ لاتخافى؛ لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام وشدى يدك به. لأنى سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية. وكان ينمو رامى قوس. وسكن فى برية فاران. وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر»

هذا هو مكان سكنى إسماعيل المبارك فيه بالملك والنبوة.

٢ ـ وقد قسم موسى عليه السلام بركة الله بالملك والنبوة على ثلاثة أماكن :

أ ـ سيناء : مكان نزول التوراة.

ب ـ وساعير : مكان تفسير التوراة من علماء وأنبياء بنى إسرائيل.

جـ ـ وفاران : مكان نزول القرآن.

فقال فى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية : «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال : جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك».

وفى هذا النص بيان لكثرة أصحاب محمد ﷺ فقد قال : «وأتى من ربوات القدس» وفى بعض التراجم : وأتى مع آلاف من جيش المقدسين الطاهرين الذين اختارتهم العناية الإلهية لهذا الغرض المقدس. وفى هذا النص مدح لأصحاب رسول الله ﷺ فقد قال : «جميع قديسيه فى يدك. وهم جالسون عند قدمك. يتقبلون من أقوالك»، أى أن الصحابة الأجلاء فى يد رسول الله؛ كناية عن التواضع بين يديه، ويتقبلون من أقواله، أى لايشرعون لهم من تلقاء أنفسهم.

٣ ـ وقد نبه يعقوب الذى هو إسرائيل بنيه حال موته على مجىء نبى السلام الذى متى جاء؛ فإنه سيأخذ منهم الملك والنبوة. بقوله : «لايزول قضيب من يهوذا،

ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شعوب» [تك ٤٩ : ١٠] والمعنى : لايزول الملك من بنى إسرائيل. وعبر بيهوذا عن بنى إسرائيل بأسرهم. وستظل التوراة شريعة تحت نفوذ الملوك من بنى إسرائيل، حتى يأتى «شيلون» نبى السلام، فيتسلم منهم النبوة والملك وتخضع له أمم الأرض.

وليس شيلون إلا محمد ﷺ ؛ لأنه من إسماعيل المبارك فيه.

٤- ولما كان موسى عليه السلام هو والمشايخ السبعون على جبل طور سيناء لتلقى شريعة التوراة من الله، خاف بنو إسرائيل من الدخان والنار اللذان أحاطا بهم وهم فوق الجبل، وقالوا لموسى عليه السلام : إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ويسمعنا صوته؛ فليكن عن طريق بشر، ليكن عن طريقك ياموسى. ونحن نسمع ونطيع. فرد موسى كلامهم إلى الله. فقال الله : أحسنوا فى ماقالوا. ولسوف أرسل لهم نبيًا مثلك، وأجعل كلامى فى فمه، أى سيكون نبيا أميا لايقرأ ولايكتب.

وهذا النبى الذى سيأتى مماثلا لموسى هو محمد عليه السلام؛ لأن الله قد بارك فى إسماعيل - عليه السلام - وجعل له ملكاً ونبوة، كملك بنى إسحق ونبوتهم فإن لإسحق بركة كبركة إسماعيل. وحملها من بنى إسحق كلهم : بنو إسرائيل. وبدأت من بنى إسرائيل من موسى عليه السلام فإنه كان صاحب الشريعة. وكان رئيسا مطاعاً، وجاهد فى سبيل الله وأمر أتباعه بدخول الأرض المقدسة. وورثوا بلاد الكفار، من بعد هلاكهم، وأقاموا فيها، وعلموا المؤمنين أحكام التوراة. وضبطوا أمور البلاد بالملك عليهم.

ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية :

«يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك. مثلى. له تسمعون. حسب كل ماطلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت، قال لى الرب : قد أحسنوا فى ماتكلموا. أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى، أنا أطالبه، وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى

يتكلم باسم آلهة أخرى. فيموت [1] ذلك النبى.

وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى. فلا تخف منه» [تث ١٨ : ١٥ - ٢٢]

كيفية انطباق النبوءة على محمد ﷺ :

أولاً : إن من أوصاف هذا النبى المنتظر : أن يكون نبياً. لا إلهاً. وقد زعم النصارى أن أوصاف النبى الذى تتحدث عنه هذه النبوءة تنطبق على عيسى عليه السلام. وزعمهم باطل؛ لأن بعضهم يقول : إن عيسى إله. وبعضهم يقول : هو الإله الخالق للعالم. فالكاثوليك والبروتستانت يقولون : أن عيسى هو الإله الثانى. والله هو الإله الأول. والروح القدس هو الإله الثالث. والأرثوذكس يقولون : إن عيسى هو الله رب العالمين وقد ظهر للناس فى صورة بشر، وعن مذهب الكاثوليك والبروتستانت يقول تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ وعن مذهب الأرثوذكس يقول تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾. وعن المذهبين : ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾، أى ثلاثة آلهة، أو ثلاث مراحل لواحد.

وهذا مع ما فى التوراة وما فى الإنجيل من أن الله تعالى هو الخالق للعالم وحده وأنه ليس كمثله شيء، ففى الأصحاح السادس من سفر التثنية : «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» وفى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا. فسر يوحنا أبناء الله بمعنى المؤمنين بالله فى قوله : «وأما كل الذين قبلوه؛ فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله. أى المؤمنون باسمه» وقال : إن الله لم يره أحد قط. وحيث إن عيسى قد رآه الناس، فإنه بحكم الإنجيل لايكون هو الله، لقوله : «الله لم يره أحد قط»

وفى نفس الأصحاح يورد يوحنا كاتب الإنجيل : شهـــادة يحيى عليــه السلام - الذى هو يوحنا المعمدان - بأنه ليس هو النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى فى سفر التثنية لينسخ شريعته. وقد كان يوحنا معاصرا لعيسى عليه السلام. وكان وهو يدعوان اليهود معا؛ لاقتراب ملكوت السموات، مما يدل على أن النبى المنتظر لم يكن قد أتى

---

(١) فى ترجمة اليسوعيين ودار المشرق: «فليقتل»

من قبل يحيى وعيسى. وليس هو عيسى ولا يحيى - عليهما السلام - يقول يوحنا : «وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت؟ فاعترف ولم ينكر. وأقر : أنى لست أنا المسيح (١). فسألوه : إذا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال : لست أنا. ألنبى أنت؟ فأجاب: لا» فقد اعترف المعمدان بأنه ليس هو النبى المشار إليه فى سفر التثنية. وحيث إنهما معا دعوا إلى اقتراب ملكوت السموات - أى أن دعوتهما واحدة - فإن النبى المنتظر يكون آتيا من بعدهما. فقد حكى متى مانصه :

أ - «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤ : ١٧] .

ب - «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٣ : ١ - ٢]

ثانيا : ومن أوصاف النبى المنتظر : أن يكون من إخوة بنى إسرائيل. ولو كان هذا النبى من بنى إسرائيل ماكان يقول: «من إخوتهم» وكان يقول: منكم. وحيث إن:

أ- لإسماعيل بركة.

ب - وأنه أخ لإسحق الذى هو جدّهم.

فإن المراد من إخوتهم : أنه سيأتى من آل إسماعيل؛ لأن لإسماعيل بركة، ففى الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين : «وقال لها ملاك الرب : هاأنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن» .

ثالثا : ومن أوصافه : المماثلة لموسى فى الحروب والانتصار على الأعداء، والملك والمعجزات. وقد نصت التوراة على أنه لن يظهر فى بنى إسرائيل مثل موسى. وعليه. فإن الآتى يكون من غير جنسهم. وحيث لإسماعيل بركة، فإنه يكون من جنسه، ففى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية : «ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه. فى جميع الآيات والعجائب التى أرسله الرب ليعملها فى

---

(١) يقصد المسيح المنتظر الذى هو المسيا والذى هو النبى الأمى المماثل لموسى والذى هو إيليا - حسب تعبير ملاخى - ثلاثة ألقاب لواحد؛ وذلك لأن هذا الواحد كان مشهورا فى كل مدينة بلقب، والعلماء يعرفون الألقاب وأرادوا حسم الخلاف فيه - على رأى -

أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه. وفى كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل»

رابعا : ومن أوصافه : أن يسمع له بنو إسرائيل ويطيعون حتى ولو نسخ شريعة موسى. ولم ينسخ شريعة موسى إلا محمد عليه السلام، أما الأنبياء من موسى إلى محمد - عليهم السلام - فقد كانوا على شريعة موسى. حتى يسوع المسيح؛ فإنهم كتبوا أنه كان على دين موسى لقوله : «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» [متى٥ : ١٧] وقد صرح القرآن بذلك فى قوله تعالى : ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾ فقد بين أنه موافق على التوراة التى هى أمامه. وكان العلماء قد ابتدعوا من عندهم تشريعات لم يأذن بها الله. مثل تحريم الأكل بأيد غير مغسولة؛ فألغى المسيح ما ابتدعوه. وكان عيسى عليه السلام مفسرا لها ولم يكن محرما ومحللا من تلقاء نفسه، كما كان يفعل الربانيون والأحبار. وقد ألغى تشديداتهم وأباح محرماتهم من تلقاء أنفسهم. كما قال تعالى عنه : ﴿ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم﴾ من الربانيين والأحبار. وأما قوله تعالى : ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ فإن معناه : وليحكموا بما فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة. فإن فى الإنجيل : «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» وفيه فى الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى قول عيسى عليه السلام : «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ماقالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لاتعملوا، لأنهم يقولون ولايفعلون».

خامسا : ومن أوصافه : أن يكون نبيا أميا غير قارئ ولا كاتب. وهذا معنى قوله: «وأجعل كلامى فى فمه»

سادسا : ومن أوصافه : أن يكون أميناً على الوحى الإلهى. وهذا مستفاد من قوله : «فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

سابعا : ومن أوصافه : أن الله ينصره على مخالفيه. وهذا مستفاد من قوله : «ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى. أنا أطالبه»، أى الله يقول: أنا أنتقم من مخالفيه.

ثامنا : ومن أوصافه : أن لايقتل. وأن من يكذب ويدعى النبوة ويزعم أنه هو

المراد من هذه النبوءة المذكورة فى سفر التثنية، أو يدعو إلى غير الله، فإنه يقتل. وهذا مستفاد من قوله : «وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبى»، أى فيكون جزاؤه القتل.

تاسعا : وإن قال متبع شريعة موسى: كيف نميز الصادق من الكاذب؟ أى إذ ظهر من يقول إنى أنا هو ذلك النبى. فكيف نعرف أنه صادق؟ فإنه أعطى علامة للناس، ليعرفوا الصادق من الكاذب. وهى أنه إذا ظهر وأخبر عن غيب، ووقع الغيب كما قال. فإنه يكون صادقا فى دعوى النبوة. وهذا مستفاد من قوله : «وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟» وهذا هو السؤال. والإجابة هى : «فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى، فلا تخف منه» .

الوصف العاشر : أن يكون ملكا على بنى إسماعيل والأمم، كما كان موسى عليه السلام ملكا على بنى إسرائيل والأمم.

وهذا الوصف مستفاد من قوله : «له تسمعون» ومن قوله : «ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى، الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» وقد جاء هذا المعنى فى القرآن الكريم، فى قوله تعالى : ﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فى ماشجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما﴾، وفى قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾

ولما قام محمد ﷺ بأمر النبوة، ودعا إلى الله بالقرآن الكريم، وحمى بسيفه من آمن به من أذى المتكبرين الملاعين، أسس مملكة قوية، فى كل ديار بنى إسماعيل، ودانوا لحكمه، وانتخب منهم رجالا معدودين ذوى بأس لقتال الأمم، الذين يصدون الناس عن الدخول فى ملكوته. ووضع فى كل مدينة، افتتحها؛ رجالا من أصحابه؛ نوابا عنه فى الحكم، وفى تعليم الدين. وأتت إليه وفود من قبائل العرب والعجم؛ لتظهر له السمع والطاعة. وحكم وعدل، وأخذ الجزية من أهل الكتاب. وأسس بيوتا للعبادة ودورا للقضاء فى البلاد المفتوحة. وهابته أمم الكفر، وقدموا له الهدايا، واعترف أهل العلم من الأمم بنبوته، وبسعة ملكه الذى سيمتد إلى أقصى الأرض. وفى عهد أصحابه من بعده؛ دخل فى ملكوته أهل فارس، والروم، وأهل سبأ ومصر والسودان.

وإلى هذا اليوم يدخل الناس فى دين الله أفواجا. وقد وضح هذه الصفة بأجلى بيان نبى الله داود عليه السلام فى سفر الزبور. فقد قال : إن أصحاب النبى الأمى الآتى على مثال موسى هم ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ وذلك فى المزمور المائة والتاسع والأربعين. وقال: إن هذا النبى سيملك الدنيا بأسرها، وأن الله وملائكته يصلون عليه. أى أن الله راض عنه، وراحم أتباعه. وأن ذكره على كل لسان، فى كل وقت. وهذا هو نص المزمور الثانى والسبعين، الذى يبين كل ذلك، والذى يعده أهل الكتاب نبوءة عن النبى الآتى على مثال موسى.

النص :

«اللهم أعط أحكامك للملك : وبرك لابن الملك [١]. يدين شعبك بالعدل، ومساكينك بالحق. تحمل الجبال سلاما للشعب، والآكام بالبِرِّ، يقضى لمساكين الشعب، يخلص بنى البائسين ويسحق الظالمين. يخشونك مادامت الشمس، وقدام القمر، إلى دور فدور. ينزل مثل المطر على الجزاز، ومثل الغيوث الذارفة على الأرض، يشرق فى أيامه الصدّيق، وكثرة السلام، إلى أن يضمحل القمر[٢]. ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض.

أمامه تجثو أهل البرية. وأعداؤه يلحسون التراب. ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تَقْدِمَـة. ملوك شبا وسباء يُقدمون هدية، ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له؛ لأنه ينجى الفقير المستغيث والمسكين، إذ لامعين له. يشفق على المسكين والبائس، ويخلص أنفس الفقراء. من الظلم والخطف يفدى أنفسهم، ويكرم دمهم فى عينيه. ويعيش ويعطيه من ذهب شبا. ويُصلّى[٣] لأجله دائما. اليوم كله يباركه.

تكون حفنة بُـرٍّ فى الأرض، فى رءوس الجبال. تتمايل مثل لبنان ثمرتها، ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض. يكون اسمه إلى الدهر. قدام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به. كل أمم الأرض يُطَوِّبونه. مبارك الرب إله إسرائيل، الصانع العجائب وحده. ومبارك اسم مجده إلى الدهر، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين

---

(١) يقصد بالملك: النبى الآتى، ويقصد بابن الملك : أنصاره وأتباعه من بعده.

(٢) شريعة محمد هى ﴿سلام﴾ إلى أن ينتهى الكفر من العالم والكفر ظلام. وانتهاء الكفر يُعبر عنه بـ ﴿مطلع الفجر﴾ يريد أن يقول: هى باقية إلى انتهاء الظلام وظهور النور. ظلام الكفر ونور الإيمان.

(٣) ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى﴾

ثم آمين» [مزمور ٧٢ ١ - ١٩]

ويتنظر اليهود هذا النبى إلى هذا اليوم، ويستفتحون به على الذين كفروا وقد أرسل الله المسيح عيسى ابن مريم ليبشر به، فقال عنه مثل ماقال موسى وداود، ووصفه بأنه سينتصر على أعدائه فى الحروب، وسيملك على ديارهم. ومن كلامه فى أمثلة ملكوت السموات : «ويطرحونهم فى أتون النار، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» [متى ١٣ ٥]

النص السابع :

سيدى

قال يوحنا المعمدان : «أنا أعمدكم بماء ولكن يأتى من هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أَحُلَّ سيور حذائه» وقال عيسى عليه السلام : «يامحمد ليكن الله معك، وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك. لأنى إذا قلتِ هذا، صرتُ نبياً عظيماً. وقدوس الله. ولما قال يسوع هذا، شكر الله» .

لماذا قال المعمدان والمسيح هذا القول عن محمد ﷺ ؟

لأن داود عليه السلام قال عنه : إنه سيدى. ذلك قوله : «قال الله لسيدى» والأصل العبرى : «قال يَهْوَهْ لادوناى» ويهوه : الله. وادوناى : السيد. وذلك فى المزمور المائة والعاشر ونصه : «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. يرسل الرب قضيب عزّك من صهيون. تسلط فى وسط أعدائك. شعبك منتدب فى يوم قوتك فى زينةٍ مقدسةٍ من رحم الفجر، لك طل حداثتك. أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة مَلكى صادق. الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكا. يدين بين الأمم. ملأ جثثا. أرضا واسعة. سحق رءوسها. من النهر يشرب فى الطريق؛ لذلك يرفع الرأس» لقد وصفه بأنه قوى على أعدائه ومنتصر عليهم وفاتح بلادهم ومالك عليهم وشريعته باقية إلى يوم القيامة. وهذا هو ماقاله المعمدان ويسوع. فإنهما عبرا بأن الآتى أقوى منهما

ولماذا قال داود والمعمدان ويسوع ابن مريم إن محمدا سيدهم؟ والإجابة على ذلك أن الله بارك فى إسحق وفى إسماعيل عليهما السلام وفى مدة البركة لأى منهما

يكون كل فرد من النسل ملكا على كل فَرد، من نسل إبراهيم، أو من الأمم. فاليهودى يكون ملكا على الإسماعيلى فى أيام بركة إسحق. والإسماعيلى يكون ملكا على اليهودى فى أيام بركة إسماعيل. والملك : سيد. ولذلك قال فى القرآن عن اليهود : ﴿وجعلكم ملوكا﴾ فى أيام بركتكم. والدليل على أن البركة ملك ونبوة : «أباركها. فتكون أمما، وملوك شعوب منها يكونون» ولو كان هذا النبى الآتى من اليهود؛ ماكان يعبر عنه داود بسيدى.

وقد ذكر كتَّاب الأناجيل الأربعة كما ذكر بَرنابا : أن عيسى عليه السلام قال لعلماء بنى إسرائيل : «ماذا تظنون فى المسيح؟» يعنى : مارأيكم فى النبى المنتظر الآتى على مثال موسى؟من أى نسل سيأتى؟ هل سيأتى من إسماعيل؟ أم سيأتى من اليهود؟ أجابوا : إنه سيأتى من داود، أى من اليهود. فرد عليهم بقوله: لو كان قولكم صحيحا ماكان؛ داود وهو نبى يقول عنه : إنه سيدى. وبناء عليه يكون الآتى من إسماعيل.

يقول متى : «وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له : ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا: «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك» فإن كان داود يدعوه ربا؛ فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة»

ثم تكلم بعد ذلك عن أنه لم ينسخ شريعة موسى وأنها ستُنسخ على يد المسيح الآتى من بعده. ذلك قوله : «حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا: على كرسى موسى جلس الكتبة والفَرِّيسيُّون. فكل ماقالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لاتعملوا؛ لأنهم يقولون ولايفعلون. فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لايريدون أن يحركوها بإصبعهم. وكل أعمالهم يعملونها؛ لكى تنظرهم الناس. فيعرِّضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم. ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع. والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس: سيدى سيدى. وأما أنتم فلا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعا إخوة. ولاتدعوا لكم أبا على الأرض؛ لأن أباكم واحد الذى فى

السموات. ولاتدعوا معلمين؛ لأن معلمكم واحد؛ المسيح. وأكبركم يكون خادما لكم. فمن يرفع نفسه؛ يتّضع ومن يضع نفسه؛ يرتفع...» [متى ٢٢:٤١ -].

* * *

إنجيل عيسى عليه السلام

أولا : نص التوراة الذى استدل به يوحنا المعمدان عن اقتراب ملكوت السموات؛ هو نفسه الذى استدل به عيسى عليه السلام عن اقتراب ملكوت السموات. فقد قال متى: «من ذلك الزمان، ابتدأ يسوع يكْرز، ويقول : توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤ : ١٧]، فلماذا يقول النصارى: إن المعمدان كان يتنبأ عن عيسى فى مجيئه الثانى؟

ثانيا : نص التوراة الذى استدل به يوحنا المعمدان عن أنه صوت صارخ للإعداد لرسول الرب؛ هو نفسه الذى استدل به عيسى عليه السلام عن أنه هو أيضا يصرخ لإعداد الطريق لمجىء رسول الرب. وذلك واضح من نصين مأثورين عنه هما :

النص الأول: «فى البدء كان الكلمة» ما المراد بالكلمة[1]؟ ثم قال : «كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة؛ ليشهد للنور، لكى يؤمن الكل بواسطته، لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور. كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتيا إلى العالم» إن الكلمة : هى وعد الله بإرسال النبى الآتى على مثال موسى. وهذا النبى هو النور الحقيقى، وليس كالأنبياء الكذبة الذين يضلون العالم. والمعمدان جاء ليشهد بأن هذا النبى سيأتى إلى العالم من بعده. واستدل بقول إشعياء عنه : «وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد» وكاتب الإنجيل ابتدأ إنجيله بذكر نص إشعياء عن النبى الآتى فقال : «فى البدء كان الكلمة» وقال : إن هذا النبى الآتى ليس هو يسوع، بدليل : أنه دعا إلى اقتراب ملكوت السموات كما دعا المعمدان. وبدليل : أنه قال : إن نبوءة «الابن» قد طبقها يسوع بصراحة على الآتى من بعده. وبدليل : أنه قال : إن اسم النبى الآتى هو «أحمد» بيركليت.

ثم قال كاتب الإنجيل : إن علماء بنى إسرائيل أرسلوا وفدا منهم. وهم فى أورشليم. القدس. إلى المعمدان ليسألوه : هل هو النبى النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان؟ هل هو النبى المماثل لموسى، المكتوب عنه فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية؟ ورد عليهم بقوله : لست أنا إياه. ففى أول إنجيل يوحنا:

---

(١) راجع كتابنا «التباسات كتاب الأناجيل من التوراة» نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

«وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين؛ ليسألوه : من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر : أنى لست أنا المسيح. فسألوه : إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال : لست أنا. ألنبى أنت؟ فأجاب : لا» والنبى المسئول عنه هو نفسه المسيح وهو نفسه إيليا. ثلاثة ألقاب لواحد. وقد اشتهر فى كل قرية بلقب، حتى أصبح كل لقب يدل عليه - على رأى -

والنص الثانى : سيُظهر النص الأول على حقيقته، وهو :

«فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم؛ ليتسقطوه بكلامه. لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين : من أنت؟ فاعترف يسوع وقال : الحق أنى لستُ مَسِيًّا. فقالوا : أأنت إيلياء أو إرمياء، أو أحد الأنبياء القدماء؟ أجاب يسوع : كلا. حينئذ قالوا: من أنت؟ قل لنشهد للذين أرسلونا. فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب، كما هو مكتوب فى إشعياء. قالوا : إذا لم تكن المسيح ولا إيلياء أونبيا مّا؛ فلماذا تبشر بتعليم جديد، وتجعل نفسك أعظم شأنا من مسيا؟ أجاب يسوع : إن الآيات التى يفعلها الله على يدى؛ تظهر أنى أتكلم بما يريد الله، ولستُ أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه؛ لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا» [بر ٤٢ : ٣ - ١٥]

ثالثا : نص التوراة الذى استدل به يوحنا المعمدان عن أن «الذى يؤمن بالابن؛ له حياة أبدية، والذى لايؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله» هو نفسه الذى استدل به عيسى عليه السلام على أن الابن هو محمد ﷺ . ومن كلامه : «فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به : إنكم إن ثبتم فى كلامى؛ فبالحقيقة تكونون تلاميذى، وتعرفون الحق والحق يحرركم. أجابوه : إننا ذرية إبراهيم، ولم نستعبد لأحد قط. كيف تقول أنت : إنكم تصيرون أحرارا؟ أجابهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : إن كل من يعمل الخطية؛ هو عبد للخطية. والعبد لايبقى فى البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرركم الابن؛ فبالحقيقة تكونون أحرارا» [يو٨ : ٣١-٣٦]

«وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى : أن كل ما أعطانى لا أُتلف منه شيئا. بل أُقيمه فى اليوم الأخير؛ لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى : أن كل من يرى الابن، ويؤمن به؛ تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» [يو ٦ :٣٩ - ٤٠]

«فأجاب يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم : لايقدر الابن أن يعمل من

نفسه شيئا» إلى قوله: «لأنى لا أطلب مشيئتى، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى» [يو ٥ : ١٩] وهو كلام مصوغ بعبارات مجازية، تدل على أن شريعة الابن؛ ستخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الموت إلى الحياة.

«فارتقى يسوع الموضع الذى اعتاد الكتبة التكلم فيه. وإذ أشار بيده إيماء للصمت، فتح فاه قائلا : «تبارك اسم الله القدوس الذى من جوده ورحمته؛ أراد فخلق خلائقه؛ ليمجدوه. تبارك اسم الله القدوس، الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء، قبل كل الأشياء ليرسله لخلاص العالم كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا : «قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك» تبارك اسم الله القدوس الذى خلق الملائكة ليخدموه» [بر ١٢ : ٤ -]

ونبوءة الابن هذه التى أصلها من المزمور الثانى. وهى عن محمد ﷺ بشهادة المعمدان ويسوع. وقد طبقها «بُولُس» على عيسى عليه السلام فى مجيئه الثانى، المتزامن مع يوم القيامة. وذلك لأنها لم تنطبق عليه فى مجيئه الأول. وقال بولس: إنها ستطبق عليه تطبيقا روحيا، شبه الرؤى فى عالم الأحلام، أو شبه ولاد التلاميذ لمعلميهم. وينقض قوله: تصريح عيسى عليه السلام فى إنجيل يوحنا بأنه لن يظهر مرة ثانية. وذلك قوله: «ولست أنا بعد فى العالم» [يو١٧ : ١١] «وقد أتيت إلى العالم. وأيضا أترك العالم» [يو ١٦ : ٢٨] وينقض قوله: تصريح التوراة والأناجيل بتأسيس ملكوت السموات عقب زوال دولة الروم. وهى قد زالت فى مجئ محمد ﷺ . وقال للنصارى: إن الإيمان أقوال لا أعمال. وأن الأعمال ليست شرط صحة فى دخول الجنة، وإنما هى شرط كمال: للتفاضل بين الناس فى الجنة. ذلك قوله: «أما البار فبالإيمان يحيا» وقال فى تطبيق نبوءة الابن على المسيح:«من خالف ناموس موسى. فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقابا أشرّ تظنون أنه يُحسب مستحقا، من داس ابن الله، وحسب دم العهد الذى قدس به دنسا، وازدرى بروح النعمة؟ فإننا نعرف الذى قال: «لى الانتقام، أنا أجازى. يقول الرب» وأيضا: «الرب يدين شعبه» مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى» [عب ١٠ ، ١١] وهذا موضح فى «اقتباسات كتّاب الأناجيل من التوراة»

*****

زيـادة المسيـح عيسـى عليه السلام
على المعمدان فى الاستدلال بالتوراة

وقد استدل المسيح عيسى عليه السلام بآيات فى سفر النبى إشعياء، لم يستدل بها المعمدان على محمد صلى الله عليه وسلم. وقد روى كلامه يُوحنا وبارنابا.

إلا إذا قلنا : إن المعمدان بحديثه عن إرث الأرض وهو يتكلم فى المزمور الثانى؛ يكون مشيرا إلى الأصحاح الرابع والخمسين من إشعياء. وفيه عن أهل مكة : «ويرث نسلك أمما» ويكون جامع الأناجيل؛ قد روى عنه باختصار لايخلّ بالمعنى.

١ - ففى إنجيل يوحنا : أن عيسى عليه السلام قال لعلماء بنى إسرائيل : «أنا هو خبز الحياة. من يقبل إلىّ؛ فلا يجوع، ومن يؤمن بى؛ فلا يعطش أبدا. ولكنى قلت لكم : إنكم قد رأيتمونى ولستم تؤمنون. كل ما يعطينى الآب؛ فإلىّ يُقبل، ومن يقبل إلىّ لا أخرجه خارجا؛ لأنى قد نزلتُ من السماء. ليس لأعمل مشيئتى، بل مشيئة الذى أرسلنى. وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى: أن كل ما أعطانى لاأُتلف منه شيئا، بل أقيمه فى اليوم الأخير؛ لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى. إن كل من يرى الابن، ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير.

فكان اليهود يتذمّرون عليه؛ لأنه قال : أناهو الخبز الذى نزل من السماء، وقالوا: أليس هذا هو يسوع بن يوسف، الذى نحن عارفون بأبيه وأمه؟ فكيف يقول هذا : إنى نزلت من السماء؟ فأجاب يسوع وقال لهم : لاتتذمّروا فيما بينكم. لا يقدر أحد أن يُقبل إلى. إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى. وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. إنه مكتوب فى الأنبياء : «ويكون الجميع متعلمين مِنَ الله فكل من سمع من الآب، وتعلّم؛ يُقبل إلىّ» [يو ٦ : ٣٥ - ٤٦] .

يريد أن يقول :إن تعاليمى تشبه الخبز. الذى به قوام الحياة. والفرق بين تعاليمى وتعاليم غيرى من اليهود الكذبة : هو أنى أنطق بالحق، الذى سمعته من السماء، وهم ينطقون بالكذب. وتعاليمى هى : «أن كل من يرى الابن، ويؤمن به؛ تكون له حياة أبدية» فهو يتكلم عن محمد صلى الله عليه وسلم بلقب «الابن» الموضوع عليه فى

المزمور الثانى. وكلامه عنه هو الذى جعل اليهود يتذمّرون عليه. وقد رد عليهم بقوله : لماذا تتذمرون علّى وأنا أتكلم عن محمد بالحق؟ أنا أتكلم عنه بما تكلمتْ به عنه التوراة. أليس فى كتب الأنبياء عنه : «ويكون الجميع متعلمين من الله»؟ أى أنّ أى مسلم سيقوم بشعائر الدين، عوضا عن بنى لاوِى. فلنبحث فى كتب الأنبياء عن هذه النبوءة، لنرى هل هى حقا تدل على محمد أم لا؟

النص :

«ترنّمى[1] أيتها العاقر التى لم تلد. أشيدى بالترنم أيتها التى لم تَمخض؛ لأنّ بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل. قال الرب. أوسعى مكان خيمتك، ولتبسط شقق مساكنك. لاتُمسكى. أطيلى أطنابك، وشددى أوتادك؛ لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرثُ نسلك أمما، ويُعمر مدنا خربة. لاتخافى؛ لأنك لاتخزين، ولا تخجلى؛ لأنك لاتستحين. فإنك تنسيْن خزى صبَاك، وعارُ ترملك؛ لا تذكرينه بعدُ؛ لأن بعلك هو صانعك، رب الجنود اسمه. ووليّك قدوس إسرائيل. إله كل الأرض يُدعى. لأنه كامرأة مهجورة، ومحزونة الرُّوح؛ دعاك الرب. وكزوجة الصِّبا إذا رُذلتْ. قال إلهك. لحيظة تركتُك وبمراحم عظيمة؛ سأجمعك. بفيضان الغضب؛حجبتُ وجهى عنك لحظة. وبإحسان أبدى أرحمك. قال وليك الرب. لأنه كمياه نوح؛ هذه لى. كما حلفتُ أن لاتعبر بعدُ مياه نوح على الأرض؛ هكذا حلفتُ أن لا أغضب عليك ولا أزجركِ. فإن الجبال تزول، والآكام تتزعزع، أما إحسانى فلا يزول عنك. وعهد سلامى؛ لا يتزعزع. قال راحمك الرب. أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية. هأنذا أبنى بالأثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق؛ أؤسّسك. وأجعل شُرفك ياقوتا، وأبوابك حجارة بَهرمانية. وكلّ تخومك حجارة كريمة. وكلّ بنيك تلاميذ الرب. وسلامَ بنيك كثيرا.

بالبرتُبّتين، بعيدة عن الظلم؛ فلا تخافين. وعن الارتعاب؛ فلا يدنو منك. ها إنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندى. من اجتمع عليك؛ فإليك يسقطُ. ها أنذا قد خلقتُ الحدّاد الذى ينفخ الفحم فى النار، ويخرج آلة لعمله. وأنا خلقتُ المهلك؛

---

(١) النص مشروح فى كتاب اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة - نشر دار الإيمان بالمنصورة - ومشروح فى كتاب إظهار الحق لرحمت الله الهندى.

ليخرب. كلُّ آلة صُوِّرت ضدك؛ لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك فى القضاء؛ تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب، وبرُّهم من عندى. يقول الرب» [إش ٥٤]

٢ - وفى إنجيل برْنابا : أن عيسى عليه السلام قال للحواريين وهو يحدثهم عن قضاء الله وقدره : «فلما رأى إشعياء نبى الله هذا؛ صرخ قائلا : «حقا. إنك لإله محتجب» ويقول عن رسول الله. كيف خلقه الله : «أما جيله فمن يصفه»؟ [بر١٦٧ : ٨ - ٩] .

النص :

-«هو- ذا عبدى. يعقلُ. يتعالى. ويرتقى. ويتسامى جدا. كما اندهش منك كثيرون. كان منظره كذا مفسَداً أكثر من الرجل. وصورته أكثر من بنى آدم. هكذا ينضح أمما كثيرين. من أجله يسدّ ملوك أفواههم؛ لأنهم قد أبصروا مالم يُخبروا به. وما لم يسمعوه؛ فهموه.

من صدق خبرنا؟ ولمن استُعلنت ذراع الرب؟ نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة. لاصورة له ولا جمال؛ فننظر إليه، ولا منظر؛ فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس. رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستَّر عنه وجوهنا. محتقر؛ فلم نعتدّ به.

لكنّ أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا. وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحُبُره شُفينا. كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظُلم. أما هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاة تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازّيها؛ فلم يفتح فاه.

من الضُّغطة، ومن الدينونة؛ أُخذ. وفى جيله من كان يَظُنّ أنه قُطع من أرض الأحياء. أنه ضُرب من أجل ذنب شعبى. وجُعل مع الأشرار قبره، ومع غنى عند موته. على أنه لم يعمل ظلما، ولم يكن فى فمه غشّ.

أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحَزَن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم؛ يرى نسلا تطول أيامه، ومسرة الرب بيده تنجح. من تعب نفسه يرى ويشبع. وعبدى البار بمعرفته؛ يُبرر كثيرين. وآثامُهم هو يحملها؛ لذلك أقسم له بين الأعزّاء، ومع العظماء يقسم غنيمة.

من أجل أنه سكب للموت نفسه. واحصُى مع أثمة. وهو حمل خطية كثيرين، وشَفِـع فى المذنبين.

ترنّمى أيتها العاقر التى لم تلد. اشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض؛ لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البَعْل. قال الرب...» إلخ [إشعياء ٥٣] .

يقول مفسرو التوراة: إن الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء: هو الأصحاح الرابع الأخير من الأصحاحات المختصة بالنبى الأمى الآتى إلى العالم، الملقب بعبد الرب المتألم، والملقب أيضا بالمسيح الرئيس، الذى هو المسيا.

وقد ذكر فى الأصحاحات السابقة عليه: مجد « المسيح الرئيس» الذى هو محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم، وامتداد ملكوته. ومن الأيات الدالة علي مجده وامتداد ملكوته: «تكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيبا... لنمو رياسته وللسلام؛ لا نهاية» [إش ٩ : ٦ - ٧] «ويحلّ عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة» [إش ١١ :٢] « وضعتُ روحى عليه؛ فيخرج الحق للأمم» [إش ٤٢ : ١] «وتنتظر الجزائر شريعته» [إش ٤٢ : ٤] وفى هذا الأصحاح يبين: أنه سيتألم (١) كثيراً من إعراض الناس عن شريعته، وأنه سيتحمل إهانات كثيرة من الجهال بأمره، ومنها: أنهم سيخذلوه، وسيسخروا منه، وسيحاربوه، وسيحاصروه؛ ليموت جوعاً، وسيعذبوا أصحابه عذاباً شديداً. وكل ذلك بلا ذنب صدر منه. وقد قوّى الله إيمانه؛ ليتحمل كل هذه الآلام؛ نيابة عن المؤمنين به. وإنه إذا لم يتحملها نيابة عنهم؛ فإنهم سيظلون في الكفر، ويقتل بعضهم بعضا، ويتعدى بعضهم على بعض. ويحدث بسبب القتل والتعديات؛ أحزان في الصدور هى تستمر. إذا استمر الكفـر ودامت التعديات. ولكن هذا النبى بصبره وجهاده؛ تحمل الأحزان عن الناس، ومنعها من صدورهـم. ولولا صبره وجهاده؛ لاستمروا هم حاملين للأحـزان. وهو أيضا بصبره على الجهاد؛ حمل أوجاعهم. ولو أنه لم يصبر على الجهاد؛ لاستمرت الأوجاع في الناس بسبب القتل والتعديات.

وفى هذا المعنى يقول: « أحزاننا حملها... مجروح لأجل معاصينا... تأديب سلامنا عليه... بحُبره شُفينا... ضُرب لأجل ذنب شعبى»

---

(١) لكى يطبق النصارى هذه النبوءة على عيسى عليه السلام قالوا بقتله وصلبه. مبالغة فى تطبيقها عليه

وفى هذا الأصحاح: أن عبد الرب المتألم؛ احتمل هذه الآلام؛ ليخلّص شعبه من الكفر «جعل نفسه ذبيحة إثم» وأنه وهو يحتملها، كان فى نظر اليهود؛ محتقرا؛ لأنه من نسل الجارية الذين سيعلون على اليهود، ويملكون أرضهم وديارهم.

ويقول مفسرو التوراة: « وتُعدّ هذه النبوءة من أهم نُبوءات العهد القديم، ونسبتُها إلى غيرها من النبوءات، كنسبة قدس الأقداس إلى القدس (1) » أ.هـ

البيان:

أولاً:«13 هوذا عبدى؛ يعقل، يتعالى، ويرتقى، ويتسامى جداً 14 كما اندهش منك كثيرون، كان منظره كذا مُفْسَداً، أكثر من الرجل. وصورته أكثر من بنى آدم 15 هكذا ينضح أمما كثيرين. من أجله يسّد ملوك أفواههم؛ لأنهم قد أبصروا مالم يُخبروا به. وما لم يسمعوه؛ فهموه» .

مضمون هذه الآيات:

1 - ارتفاع المسيح. الذى هو النبى الأمى المماثل لموسى وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا الارتفاع من قوله: « هو ذا عبدى يعقل يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا»، أى يفتح بلادا كثيرة ويغنم مغانم كثيرة ويرث أتباعه أمما، ويعمر مدنا، وينشر شريعة. والكلمة «يعقلّ» العربية، مترجمة عن كلمة عِبرانية تفيد الحكمة، والعمل بالحكمة. وقد جاء فى القرآن الكريم: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾.

2 - تواضع المسيح. وهو مستفاد من قوله: «كما اندهش منك كثيرون» من اليهود وهم اندهشوا من محمد ﷺ ؛ لأنهم رأوا دعوته تنتشر فى الأمم بسرعة البرق، ولأنهم انتظروا منهم نبياً مجيداً، لا نبيا متألما. انتظروا منهم نبيا ملكا كداود وسليمان. لا نبيا فقيراً. من نسل الجارية - رضى الله عنها - وفى هذا المعنى جاء فى القرآن الكريم : ﴿وقالوا لولا نزّل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك؟﴾ يعنون : من «نابلس» أو «أورشليم»

(1) تفسير السنن القويم فى سفر إشعياء.

٣ - الفوائد الناجمة من الارتفاع والتواضع للعالم أجمع. «هكذا ينضح أمما كثيرين»، أى يزكى قلوب أهل العالم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وما لم يكونوا يعلمون وذلك لأن «ينضح» معناها: أنه فى شريعة التوراة [لا ١٦ :١٤] كان رئيس الكهنة يأخذ يوم الكفارة من دم الثّور، وينضح على وجه غطاء التابوت؛ دلالة على تطهير الشعب من الخطايا. وإشعياء استخدم الكلمة على حسب لغة قومه؛ ليبين بها أن النبى الآتى سيعطى شريعة تزكية وتعليم. وأمامها يسدّ ملوك أفواههم؛ أمارة على الاعتبار له.

وهذه النبوءة لا تنطبق على عيسى عليه السلام كما يزعم المسيحيون؛ لأن الملوك لم يسدوا أفواههم منه؛ لأنه لم يحارب ولم يفتح بلادا، ولانه لم يجئ بشريعة مغايرة لشريعة التوراة. ولم يكن من غير اليهود. وكل هذا يدل على أن الآتى من بنى إسماعيل، المحتقرين فى أعين اليهود وليس غيرهم؛ لأن لإسماعيل بركة. وقول إشعياء: «قد أبصروا مالم يخبروا به» لايدل على عيسى أيضا؛ لأنه يعنى : أنهم أبصروا مجدا أعظم من كل مجد فى العالم، وفهموا كلاما أعلى من حكمة البشر. ولم يكن لعيسى مجد ولم تكن معه شريعة غير شريعة موسى.

راجع فى هذا الجزء:

إشعياء ٤٢ : ١ و ٥٣ : ١٠ وإرمياء ٢٣ : ٥ وفيلبى ٢ : ٩ ومزمور ٢٢ : ٦ و ٧ وإشعياء ٥٣ : ٢ و ٣ وحزقيال ٣٦ : ٢٥ وأعمال ٢ : ٣٣ و عبرانيين ٩ : ١٣ و ١٤ وإشعياء ٤٩ : ٧ و ٢٣ وإشعياء ٥٥ : ٥ ورومية ١٥ : ٢١ و ١٦ : ٢٥ و ٢٦ وأفسس ٣ : ٥ و ٩

ثانياً: قول إشعياء: « من صدق خبرنا؟ ولمن استُعلنت ذراع الرب؟»

من المتكلم القائل: « من صَدَّق خبرنا . . . إلخ » إنه هو إشعياء. يقول : إن خبر الله بإسال النبى الأمى الآتى إلى العالم؛ لابد من تحققه؛ لأنه وعد به، وتكلم عنه. وكلمته تبقى إلى الأبد».

وما هو هذا الخبر؟

هو قول موسى عليه السلام عن النبى الآتى على مثاله: «يقيم لك الرب إلهك: نبياً من وسطك من إخوتك. مثلى. له تسمعون. . . إلخ» وفيه: أن من لا يسمع لكلام

هذا النبى من اليهود؛ يُباد من الشعب. ويدل تحريُف اليهود على النبوءات الدالة عليه؛ أنهم لن يؤمنوا به. ووضح ذلك إشعياء في قوله: « اسمعوا سمعا ولا تفهموا. وابصروا إبصارا، ولا تعرفوا» [إش ٦ : ٩] ,

وقوله: «ولمن استعلنت ذراع الرب؟» يدل على أن النبى الآتي؛ ستظهر قوته بانتصاره على الأعداء فى الحروب. وقد ظهرت هذه القوة فى محمد صلي الله عليه وسلم.

ثالثا: أوصاف النبى الآتى:

نبت قدامه كفرخ من أرض يابسة.

أى أن الله تعهد النبى بالعناية والرعاية، كما يتعهد الزارع إنبات النبات. وفي هذا المعنى: ﴿ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى﴾

كفرخ.

معناه: الكناية عن الضعف. وهو مثل قضيب من جذع شجرة. وقد شبه محرف إشعياء النبى الآتى بقضيب من جذع من شجرة، فى قوله: «ويخرج قضيب من جذع يَسّى وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب. ولذّته تكون في مخافة الرب. . .» .

ثم إن هذا القضيب يقوى ويشتد. وهذا القضيب لن يكون من اليهود؛ من سلالة داود بن يسى - عليه السلام - لقول داود عنه : إنه سيده، والابن لا يكون سيداً لأبيه. ولقول يعقوب لبنيه: لن يزول الملك منكم، ولن تزول الشريعة، حتى يأتى شيلون. ولقول حزقيال : وأنت أيها النجس، الشرير، رئيس إسرائيل. . .إلخ.

أرض يابسة.

كناية عن خروج النبى من أرض غير ذى زرع. وهي أرض مكة المكرمة؛ لقوله: ﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم﴾ ويفسر علماء التوراة الأرض اليابسة بفقر الأب والأم، وبالقرية المحتقرة الفقيرة التى تربى فيها النبى المنتظر.

لا صورة له ولا جمال فننظر إليه. ولا منظر فنشتهيه.

يقول بعض النصارى: إن هذا لا يشير إلي جسد المسيح. كأنه بلا جمال أو منظر حسن، بل إلى أحواله ؛ فإنه كان فقيراً ومظلوماً. وليس كالملك المجيد المنتظر من اليهود. ومعني قولهم : هو الكناية عن كره اليهود وبغضهم للنبى الآتى. وهم لمحمد صلى الله عليه وسلم كارهون؛ لأنه نزع عنهم سلطانهم، وأخذ منهم الملك والشريعة.

محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع، ومختبر الحزن، وكمستّر عنه وجوهنا، محتقر، فلم نعتد به.

احتقروه ؛ لأنه ليس من جنسهم. والاحتقار هو بقلة اعتبارهم لشريعته. والدليل على أنهم احتقروه؛ لأنه ليس من جنسهم : هو قولهم مخذول. والمخذول هو المخذول من الأقارب ؛ لقول أيوب عليه السلام : «أقاربى خذلونى» [أى ١٩ : ١٤]

وقد عبر داود عليه السلام عن محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : « ومحتقر الشعب» ثم قال عنه فى نفس المزمور: « قدامه يجثو كل من ينحدر إلي التراب، ومن لم يحيى نفسه» وقال : إنه لن يقتل بيد أعدائه: « بل عند صراخه؛ إليه استمع»

وقد شرحنا هذا المزمور وهو الثانى والعشرون في كتابنا «اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة» .

رجل أوجاع، ومختبر الحزن.

هل الأوجاع إصابات فى جسد النبى الآتى إلى العالم؟ لا . ليست الأوجاع إصابات في جسده أو عاهات. وإنما هى إصابات فى جسد الكفار، وهو شفاها وأزالها.

يريد أن يقول: إن الكفار يتعدى بعضهم على بعض. ومن أجل ذلك سيأتى؛ ليشفى من الأمراض التى ستحصل بسبب التعديات. وشفاؤه سيكون بإعطاء شريعة. من يعمل بها؛ يشفى ويحيا. ويقول المسيحيون: إن هذه النبوءة مطبقة على عيسى عليه السلام على معنى: أنه خدم الناس. وكانت فى هذه الخدمة أتعاب وآلام وخسارة لنفسه. وحزنُنا على المصابين هو على قدر محبتنا لهم؛ فإننا نحزن على مصيبة أولادنا أو إخوتنا، أكثر مما على الغريب والبعيد. وقد جاء فى القرآن الكريم: ﴿وننزل من

القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾.

وكمستر عنه وجوهنا.

إن اليهود كانوا يكرهون النظر إلى الأبرص. ويسترون وجوههم عنه. وشبه إشعياء النبى الآتى بأنه فى نظر اليهود مكروه، ككراهتهم للأبرص؛ وذلك لأنه من غير جنسهم.

لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبناه مصابا مضروبا، من الله ومذلولا. وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحبره شفينا، كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا.

إن داود عليه السلام في المزمور الثامن والثلاثين يتكلم عن النبى الآتى بمثل ما تكلم عنه إشعياء ويعبر عنه بعبارات مجازية تدل على ضيقه من أعدائه. مثل: ليست فى جسدى صحة. ليست فى عظامي سلامة. قد أنتنتُ. اليوم كله ذهبتُ حزينا. أقاربى وقفوا بعيدا. ثم يقول : « لأنى لك يارب صبرتُ. أنتَ تستجيب. يارب إلهى» - «لا تتركنى يارب، يا إلهى لا تبعد عنى. أسرع إلي معونتى. يارب خلاصى».

وإن داود يتكلم عن النبى الآتى كثيراً بمثل هذه المعانى مثل: « قد علمت يارب أن أحكامك عدل، وبالحق أذللتنى؛ فلتصر رحمتك؛ لتعزيتى. حسب قولك لعبدك» {مز ١١٩ : ٧٥ - ٧٦}.

أحزاننا حملها.

بسبب عدم إيمان أعدائه بدعوته، كان يتألم لخلاص النفوس، وهبة الحياة للمؤمنين به.

ونحن حسبناه مصابا.

يقول إشعياء عن النبى الآتى: إن اليهود سيقولون عنه: إنه مصاب بسبب خطاياه، لا بسبب أنه متألم من إعراض الناس عن دعوته.

تأديب سلامنا.

يقصد التأديب الذى غايته ونتيجته؛ السلام، أى أنه حارب من أجل تأديب الناس، للدخول فى شريعته.

ويحبره شفينا.

الحبر - بالحاء المهملة - هى آثار هذه الضربات. يريد أن يقول: إن الآلام التى تحملها النبى من الحروب التى خاضها، والأهوال التى لقيها فى سبيل الدعوة، كانت هى السبب في اعتناق الناس للدين، الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين.

ملنا كل واحد إلى طريقه.

كل الناس قد زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله. وينتج عن ذلك: بعد الناس بعضهم عن بعض، وبعد الناس عن الله.

وضَع عليه إثم جميعنا.

أى هو الذى شاء الله له أن يتعب من أجل تبليغ الشريعة.

رابعا: ثم قال إشعياء في وصف صبر النبى الآتى على احتمال الآلام فى الدعوة: «ظلم. أما هو فتذلل. ولم يفتح فاه، كشاة تساق إلي الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازّيها؛ فلم يفتح فاه»

ظلم.

أشار بهذا إلى ضعفه وإلى احتماله آلاماً. لم يستحقها، وإلى قساوة اليهود فى رفض دعوته مجانا. بلا سبب. وهم قد كتبوا: أن العهد الدائم بالنبوة هو فى إسحق، من قبل ولادته، وكتبوا أنه هو الذبيح. فلو فرضنا أنه قد ذبح؛ فكيف يتحقق العهد؟ وهم بهذه الكتابة فى التكوين ١٧ يكونون ظالمين لإسماعيل عليه السلام.

لم يفتح فاه.

أشار بهذا إلى أنه استسلم لإرادة الله فى تحمل الآلام فى سبيل الدعوة.

كشاة تساق.

يعنى: أنه استسلم استسلاما تاما. ويرمز بهذه الصفة إلى النسل الذى سيأتى

منه. وهو نسل إسماعيل عليه السلام فإنه استسلم للذبح وفداه الله بذبح عظيم. وكاتب التوراة قد كتب أن الذبيح إسحق، وأنه هو الوحيد. وكتب في موضع آخر : أن إسماعيل كان أكبر من إسحق، وأنه هو وحيد أبيه ووحيد هاجر، ووحيد سارة ؛ لأنها هى التى طلبت من إبراهيم أن يدخل عليها ؛ لعلّها أن ترزق منها بنين.

من الضغطة.

الشدة والضيق والمشقة فى حياته، أى أنه أُخذ لتبليغ الدين، من أرض شديدة الحرارة وقلة الزرع. وهى أرض فاران.

ومن الدينونة.

إن الله حكم عليه بهذا. وقد أدانه اليهود، وحكموا عليه بقولهم. ﴿راعنا﴾، أى عِفريت. باللغة العِبرانية، وائتمروا عليه مع الكفار الرادين لدعوته.

وفى جيله من كان يظن؟

أى أن مدة ملكة طويلة، وسيكثر فيها الخيرات. وما من أحد كان يظن أنه سينجح فى دعوته، وأن قومه رعاة الابل سيحكمون على بلاد العالم، وليس فى أرض الأحياء من نجح نجاحه. أى هو أعلي وأعز من الفاتحين؛ بسبب أن الله هو الذى يمكن له فى الأرض.

إنه ضرب من أجل ذَنْب شعبى.

إنه قد تألم بسبب أن الله أراد لشعبه. وهم اليهود أن يكون لهم خير في أيامه، ولكنهم رفضوا هذا الخير. والرفض؛ ذنب. وهو قد تألّم بسبب هذا الذنب الناتج عن الرفض.

وجعل مع الأشرار قبره، ومع غنى عند موته.

إن اليهود قد أعلنوا عن أنه هو نبى كذاب ومسيح دجّال. وصدّوا الناس عن دعوته. ولذلك حاربوه. وأصبح فى نظر اليهود ؛ من الأشرار.

وإذا قتل من أتباعه قتلى، يحكم اليهود عليهم بأنهم من قتلى الأشرار؛ ولكن الله تعالى سيجعل نهاية حياته سعيدة. وسيقسم له بين الأعزاء، ومع العظماء غنيمة.

على أنه لم يعمل ظلما، ولم يكن فى فمه غش.

أى أن اليهود حكموا عليه بأنه من الأشرار، هو وأتباعه الذين قاتلوا معه. وهم يعلمون أنه لم يعمل ظلماً. وأن شريعته التى يتلوها على الناس من فمه؛ هى شريعة من الله، وهو مؤتمن عليها، ويبلغها على أكمل وجه. وقد أشار بقوله: «ولم يكن فى فمه غش» إلى قول موسى عليه السلام: «أقيم لهم: نبياً من وسط إخوتهم مثلك. وأجعل كلامي فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به» [تث ١٨ : ١٨]

أما الرب فسّر بأن يسحقه بالحزن.

إن آلام النبى المنتظر، وإن كانت من يد الناس؛ كانت بمشورة الله المحتومة، وعلمه السابق. والرب « سحقه» أى امتحن إيمانه، وعلم أنه أهل لحمل الرسالة. ولذلك قال: **﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذين يقولون﴾**

إن جعل نفسه ذبيحة إثم؛ يرى نسلا تطول أيامه.

إنه إن صبر على الدعوة، واستمر على الجهاد، مع أنه مؤلم. إذ هو تعريض النفس للموت مرات كثيرة؛ فإنه ستكثر أتباعه، ويستمر ملكه إلى يوم القيامة. ويقول المسيحيون: إن نسل يسوع المسيح هم نسل يسوع المسيح بالولاء الروحى والقلبى. وقولهم باطل؛ فإنه يتكلم عن كثرة أتباع، بسبب كثرة الحروب وفتح البلاد.

ومسرة الرب بيده تنجح.

هذا النص يكّذب المسيحيين في قولهم: إن هذه النبوءة لعيسى عليه السلام؛ لأن قولهم إنه قتل وصلب؛ يمنع من نحاج دعوته. ومحمد صلى الله عليه وسلم نحج فى دعوته ولم يقتل بيد أعدائه.

من تعب نفسه يرى ويشبع.

من تعب نفسه فى الجهاد في سبيل الله؛ يرى كثرة بلاد مفتوحة، وكثرة أتباع، ويشبع من الغنائم، ومن خيرات الأرض التى يرثها.

وعبدى البارّ بمعرفته يبرر كثيرين.

أى أنه بجهاده فى سبيل الله. وهو يعرف قيمة دعوته ؛ ينال خيراً عظيماً، ويتسبب فى رحمة كثيرين فى الدنيا والآخرة. أما فى الدنيا فهو دخولهم فى

الإسلام. وأما فى الآخرة؛ فهو شفاعته للطاعنين من أمته فى الخروج من النار بع مكثهم فيها أحقابا. قدرها عيسى عليه السلام بسبعين ألف سنة. طبقا لرواية برنابا .

خامسا: تطبيق إشعياء نبوءة المزمور الثانى على محمد صلى الله عليه وسلم:

وفى المزمور الثانى: يقول داود عليه السلام عن النبى الأمى الآتى: «اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرضى ملكاً لك» وقد وافق إشعياء داود. فقد قال إشعياء: « لذلك أقسم له بين الأعزاء، ومع العظماء يقسم غنيمة» والأعزاء : هم ملوك الأرض الأقوياء، كملوك أشور وبابل، الذين قهروا ممالك وأخضعوا الأرض كلها لهم. ويقول المسيحيون: إن هذه النبوءة تنطبق على عيسى عليه السلام على معنى: أن الناس تدين له بالولاء الروحى. كولاء التلاميذ لمعلميهم. ويقولون: هذا هو ملكه. وقول داود وإشعياء يدل على مملكة أرضية لهذا النبى الأمى الآتى، كمملكة داود وسليمان وملوك أشور وبابل.

سكب للموت نفسه.

اى كانت آلامه بإرادته، وكانت هذه الآلام شديدة جداً حتي الموت.

انتهينا من شرح النبوءة بإيجاز.

ثم نقول:

أولاً: إن هذه النبوءة قد طبقها المسيحيون على المسيح عيسى عليه السلام.

ثانياً: إن هذه النبوءة تشبه نبوءة المزمور الثانى لداود عليه السلام.

ثالثا: وإن هذه النبوءة تشبه نبوءة المزمور الثامن والثلاثين، والمزمور المائة والتاسع عشر والمزمور الثانى والعشرين. وكل مزامير المسيّا.

رابعاً: وإن هذه النبوءة فيها: «ولم يكن فى فمه غش» وهو وصف للنبى الأمى فى سفر التثنية «فيكلمهم بكل ما أوصيه به» - «وأجعل كلامى فى فمه»

النتيجة:

١ - حيث إن المعمدان، والمسيح عيسى عليهما السلام قد طبقا المزمور الثانى لداود عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بشهادة الأناجيل الأربعة. وحيث

أن المزمور الثانى موافق لنبوءة إشعياء هذه - نبوءة العبد المتألم - عنه؛ فإن نبوءة إشعياء هذه؛ تكون نصاً فى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ ـ وحيث إن برنابا قد روى تطبيق المسيح عيسى عليه السلام لهذه النبوءة على محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنه يكون صادقاً فى روايته. وذلك لأن كتّاب الأناجيل الأربعة رووا أن المعمدان ويسوع قد طبقاً نبوءة الابن على النبى الآتى من بعدهما. ولم يأت من بعدهما إلا محمد صلى الله عليه وسلم.

٣ ـ وحيث إن الأصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء قد طبقه المسيح عيسى عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم طبقاً لرواية يوحنا ـ وروايته مقدسة عندهم ـ ؛ وهو أصحاح يكمّل الأصحاح الثالث والخمسين فى الكلام عن «عبد الرب المتألم» فإن المسيح يكون مطبقاً أيضا للأصحاح الثالث والخمسين على محمد صلى الله عليه وسلم ويكون يوحنا قد نقل عنه جزءاً، وبرنابا قد نقل عنه جزءا.

٤ ـ وفى هذه النبوءة: «وشفع فى المذنبين» من أمّته. وعيسى عليه السلام نفى أنه سيشفع فى اليهود نفيا باتا. وإذا انتفت شفاعته بنص كلامه وفعله. ينتفى أن يكون هو صاحب هذه النبوءة. يقول عيسى عليه السلام: «إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس؛ سوف يُعطون عنها حسابا يوم الدين؛ لأنك بكلامك تتبرر، وبكلامك تُدان»[متى ١٢ : ٣٦ ـ ٣٧] وحكى عنه مرقس: «وتعجب من عدم إيمانهم» [مر٦ : ٦ إش ٥٩ : ١٦] أى أنه لم يشفع فيهم لعدم إيمانهم. وذلك لأن الشفاعة للمؤمن. وهم لم يؤمنوا، كما قال إشعياء عن الله تعالى : «فرأى أنه ليس إنسان، وتحير أنه ليس شفيع» [إش ٥٩ : ١٦].

*****

نبوءة زكريا والد يحيى عن محمد ﷺ

النص :

«وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلا : مبارك الرب إله إسرائيل؛ لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه، وأقام لنا قرن خلاص، في بيت داود فتاه. كما تكلم بفم أنبيائه القدّيسين، الذين هم منذ الدهر.

خلاص من أعدائنا. ومن أيدى جميع مبغضينا؛ ليصنع رحمة مع آبائنا، ويذكر عهده المقدس. القَسَم الذى حلف لإبراهيم أبينا؛ أنْ يُعطِيَنا. إننا بلا خوف مُنْقَذين من أيدى أعدائنا. نعبده بقداسة وبِرٍّ، قدامه جميعَ أيام حياتنا.

وأنت أيها الصبىُّ نبىَّ العلىِّ؛ تُدعَى؛ لأنك تتقدمّ أمام وجه الرب؛ لتعدّ طرقه؛ لتعطى شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم، بأحشاء رحمة إلهنا، التى بها افْتَقَدنا المشرقُ من العَلاء؛ ليضئ على الجالسين فى الظلمة، وظلال الموت؛ لكى يهدى أقدامنا فى طريق السلام» [لو١ : ٦٧ - ٧٩] ووجه الدليل من هذه النبوءة : هو قوله : «وأنت أيها الصَّبِى نبىَّ العَلِىِّ تُدعَى؛ لأنك تتقدم أمامَ وجه الرب؛ لِتُعدّ طُرُقَهُ»؛ وذلك لأن فى التوراة نبوءة عن محمد ﷺ يدل معناها على أن إشعياء يصرخ عنه بقوله : «أعدوا طريق الرب؛ قوموا فى القفر سبيلا لإلهنا»، والمعمدان صرخ مثله بقوله : «أعدوا طريق الرب» ذلك قول متى عن المعمدان : «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكْرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات. فإن هذا هو الذى قيل عنه بإشعياء النبى القائل : «صوت صارخ فى البرية : «أعدوا طريق الرب. اصنعوا سبله مستقيمة» [متى ٣ : ١ - ٣] والمسيح عيسى عليه السلام صرخ مثله بقوله : «أعدوا طريق الرب» ذلك قول بَرنابا : «فاعترف يسوع، وقال : الحق أنى لست مَسِيًا. فقالوا : أأنت إيلياء أو إرمياء أو أحد الأنبياء القدماء؟ أجاب يسوع : كلا. حينئذ قالوا: من أنت؟ قل ؛ لنشهد للذين أرسلونا. فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها؛ يصرخ : «أعدوا طريق رسول الرب» كما هو مكتوب فى إشعياء» [بر ٤٢ : ٥ - ١٠]

وذكر عيسى عليه السلام علامات فى محمد تدل على صدقه. فقال :

«أما من خصوصى فإنى قد أتيتُ لأهيِّئ الطريق لرسول الله. الذى سيأتى بخلاص للعالم. ولكن احذروا أن تُغشّوا لأنه سيأتى أنبياء كذبة كثيرون، يأخذون كلامى وينجسون إنجيلى. حينئذ قال أَنْدَرَاوُس : يامعلم اذكر لنا علامة لنعرفه. أجاب يسوع : إنه لا يأتى فى زمنكم، بل يأتى بعدكم بعدة سنين، حينما يبطل إنجيلى، ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمنا. فى ذلك الوقت يرحم الله العالم؛ فيرسل رسوله، الذى تستقر على رأسه غمامة بيضاء، يعرفه أحد مختارى الله، وهو سيظهره للعالم. وسيأتى بقوة عظيمة على الفجار، ويُبيد عبادة الأصنام من العالَم، وإنى أُسرّ بذلك؛ لأنه بواسطته سيُعلن ويمجد الله، ويظهر صدقى. وسينتقم من الذين سيقولون: إنى أكبر من إنسان. الحق أقول لكم: إن القمر سيعطيه رقاداً فى صباه. ومتى كبر هو أخذه فى كفيه. فليحذر العالم أن ينبذه؛ لأنه سيفتك بعبدة الأصنام. فإن موسى عبدالله؛ قتل أكثر من ذلك كثيراً. ولم يُبق يشوع على المدن التى أحرقوها، وقتلوا الأطفال؛ لأن القرحة المزمنة يُستعمل لها الكيّ. وسيجىء بحق أجلى من سائر الأنبياء، وسيوبخ من لا يحسن السلوك فى العالم، وستحيّى طربا أبراج مدينة آبائنا بعضها بعضها. فمتى شُوهد سقوط عبادة الأصنام إلى الأرض، واعتُرف بأنى بشر كسائر البشر، فالحقَّ أقول لكم : إن نبى الله حينئذ يأتى»

* * *

صُراخ المسيح عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ :

وكما صرخ المعمدان ونادى باقتراب ملكوت السموات، صرخ المسيح عيسى ابن مريم، ونادى باقتراب ملكوت السموات. فقد قال متى : «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤ : ١٧].

وهذا هو نص نبوءة إشعياء عن الإعداد لطريق رسول الرب، الذى هو محمد صاحب ملكوت السموات :

«عَزُّوا عَزُّوا شعبى. يقول إلهكم. طيِّبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل. أن إثمها قد عُفى عنه. أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها.

صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب. قوّموا فى القفر سبيلا لإلهنا. كل وطاء يرتفع، وكل جبل وأكمة ينخفض، ويصير المعوج مستقيما والعراقيب سهلا؛ فيعلن مجد الرب، ويراه كل بشر جميعا؛ لأن فم الرب تكلم. صوت قائل ناد. فقال : بماذا أنادي؟ كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب، ذبل الزهر؛ لأن نفخة الرب هبّت عليه. حقا الشعب عشب. يبس العشب ذبل الزهر. وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد.

على جبل عال اصعدى يامبشرة صهيون. ارفعى صوتك بقوة يامبشرة أورشليم. ارفعى لاتخافى. قولى لمدن يهوذا : هو ذا إلهك. هوذا السيد الرب بقوة؛ يأتى، وذراعهُ تحكم له. هو ذا أجرته معه، وعُملته قدامه، كراع يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحُملان، وفى حضنه يحملها، ويقود المرضعات» [إش ٤٠ : ١ - ١١]

نبوءة التوراة عن ملكوت السموات :

وملكوت السموات الذى دعا إلى اقترابه المعمدان ويسوع ابن مريم - عليهما السلام - أصله من التوراة، من سفر دانيال. والتاريخ يطبق هذه النبوءة على محمد ﷺ ؛ وذلك لأن المسيح عيسى ابن مريم ولد فى زمان أوغسطوس قيصر الرومان لقول لوقا «كان هِيرودوس فى ذلك الوقت ملكا علي اليهودية بأمر قيصر أوغسطوس. وكان بيلاطس حاكما فى زمن الرياسة الكهنوتية لحنّان وقيّافا» والمعمدان ابتدأ دعوته «فى السنة الخامسة عشر من سلطنة طيباريوس قيصر، إذ كان بيلاطس البنطى واليا على اليهودية، وهيرودوس رئيس رُبع على الجليل» [لو ٣ : ١] .

وقال دانيال : إن أربعة ممالك ستنشأ عِلى الأرض هى بابل وفارس واليونان والرابعة هى مملكة أهل الروم. ثم يظهر «ابن إنسان» فيقيم لله مملكة على الأرض. ولم يظهر بعد الروم [(١)] إلا محمد ﷺ .

---

(١) يقول القسيس عبدالأحد داود الأشّورى :

١ - إن الرؤى السيلّية Sybiline Revelation التى كُتبت بعد الانهيار الأخير للقدس؛ نتيجة اجتياح الجيوش الرومانية (٧٠م) تقول : إن (ابن الإنسان) سوف يظهر ليدمّر الإمبراطورية الرومانية، ويُنقذ المؤمنين الموحدين.

وقد كُتبت هذه الكتب بعد خراب القدس والهيكل. فى الفترة التى نُشرت فيها رؤيا يوحنا اللاهوتى.=

النص :

«فى السنة الأولى لبيلشاصَّر، ملك بابل؛ رأى دانيآل حلما. ورؤى رأسه على فراشه. حينئذ كتب الحلم، وأخبر برأس الكلام. أجاب دانيال وقال : كنتُ أرى فى رؤياى ليلا، وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير. وصَعِد من البحر أربعة حيوانات عظيمة. هذا مخالف ذاك. الأول كالأسد. وله جناحا نَسْر. وكنت أنظر حتى انتتف جناحاه، وانتصَب عن الأرض، وأوقف على رجلين كإنسان. وأعطى قلب إنسان. وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدُّب؛ فارتفع على جنب واحد، وفى فمه ثلاث أضلع بين أسنانه. فقالوا له هكذا : قم كل لحما كثيرا.

وبعد هذا. كنتُ أرى وإذا بآخر مثل النمر، وله على ظهره أربعة أجنحة طائر. وكان للحيوان أربعة رءوس، وأُعطى سلطانا.

بعد هذا. كنتُ أرى فى رؤى الليل، وإذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جدا. وله أسنان من حديد كبيرة. أكل وسحق وداس الباقى برجليه. وكان مخالفا لكل الحيوانات الذين قبله. وله عشرة قرون. كنتُ متأملا بالقرون، وإذا بقرن آخر صغير، طلع بينها، وقُلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه، وإذا بعيون كعيون الإنسان فى هذا القرن، وفم متكلم بعظائم. كنت أرى أنه وُضعت عروش، وجلس القديم الأيام.

- والغرض من الكتب السيلية : هو التنبؤ بأن (ابن الإنسان) العِبرى، أو المخلّص المنتظر، سوف يأتى ليهزم الرومان، ويقدم الدين الصحيح. والمقصود بكلمة «عبرى» هو كل ماينتسب إلى سلالة إبراهيم عليه السلام التى تفرقت فيما بعد إلى بنى إسماعيل وبنى إسرائيل.

٢ ـ فى الأصحاح السابع من سفر دانيال يقول : إن «ابن الإنسان» سوف يأتى ليزيل دولة الرومان. ويؤسس «ملكوت السموات» والرؤى فى سفر باروخ مشابهة لذلك تماما، وجميعها تصف المنقذ على أنه (بارناشا) أو (ابن الإنسان) Assumption of Moses

٣ ـ إن رؤيا باروخ وعَزرا - الذى هو عُزير - فى الكتاب الرابع لأيزدراس فى الترجمة اللاتينية المعتمدة للكتاب المقدس تتحدث عن ظهور (ابن الإنسان) الذى يُقيم مملكة السلام (الإسلام) على أنقاض الإمبراطورية الرومانية.

ويقول :

إن «ابن الإنسان» فى سفر دانيال وأسفار الرؤى المنحولة هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى أتى وأزال الدولة الرومانية بالحرب، وخلّص المؤمنين به من أيديهم. وليس هو عيسى عليه السلام كما يزعم النصارى. وذكر حججا من الأناجيل على نفى هذا الزعم. انظر كتاب [محمد كما ورد فى كتاب اليهود والنصارى ـ تأليف البروفيسور عبدالأحد داود ـ قسيس أورميا فى إيران سابقا ـ نهضة مصر بالقاهرة]

لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار متقدة. نهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامهُ. فجلس الدينُ وفُتحت الأسفار.

كنتُ أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التى تكلم بها القرن. كنتُ أرى إلى أن قُتل الحيوان، وهلك جسمه، ودُفع لوقيد النار، أما باقى الحيوانات فنُزع عنهم سلطانهم، ولكن أُعطوا طول حياة إلى زمان ووقت.

كنتُ أرى فى رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان، أتى وجاء إلى القديم الأيام؛ فقربوه قدامه، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا؛ لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى مالن يزول، وملكوته مالا ينقرض» [دانيال ٧: ١ - ١٤].

* * *

نبوءة مريم عليها السلام عن محمد ﷺ :

وقال زكريا عليه السلام فى نبوءته عن محمد ﷺ : «خلاصٍ من أعدائنا، ومن أيدى جميع مبغضينا»، اى أن محمدا بالحرب فى ساحات المعارك يخلّص أتباعه من الكفار. وقالت مريم رضى الله عنها بمثل قوله. ففى إنجيل لوقا: «فقالت مريم : تُعظّم نفسى الرب، وتبتهج روحى بالله مُخلّصى؛ لأنه نظر إلى اتّضاع أَمَته. فهو ذا منذ الآن جميعُ الأجيال تُطوبنى؛ لأن القدير صنع بى عظائم. واسمه القدوس، ورحمته إلى جيل الأجيال، للذين يتقونه. صنع قوة بذراعه، شتّت المستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل الأعزاء عن الكراسى، ورفع المتّضعين. أشبع الجياع خيرات، وصرف الأغنياء فارغين. عضد إسرائيل فتاه؛ ليذكر رحمة. كما كلم آباءنا. لإبراهيم ونسله إلى الأبد» [لو ١ : ٤٦ - ٥٥]. ووجه الدليل هو:

١ـ العزة لقوم، والذلة لآخرين.

٢ـ وظهور وعد الله فى حينه. وهو وعده لإبراهيم بظهور بركة إسماعيل.

وفى إنجيل آخر : «اعرفى يانفس عظمة الله، وافخرى ياروحى بالله مخلّصى؛

لانه رمق ضعة أمته، وستدعونى سائر الأمم مباركة؛ لأن الله القدير صيّرنى عظيمة. فليتبارك اسمه القدوس؛ لأن رحمته تمتدّ من جيل إلى جيل، للذين يتّقونه. ولقد جعل يده قوية؛ فبدّد المتكبر المعجب بنفسه. ولقد أنزل الأعزّاء من على كراسيهم، ورفع المتضعين. أشبع الجائع بالطيبات، وصرف الغنى صفر اليدين؛ لأنه يذكر الوعود التى وعد بها إبراهيم وابنه إلى الأبد» [ير ١ : ١٣ - ١٢] .

يقول زكريا عليه السلام : إن النبى الأمى الآتى إلى العالم سيخلّص أتباعه من أعدائهم. ذلك قوله : «خلاص من أعدائنا، ومن أيدى جميع مبغضينا» وقالت مريم العذراء : «صنع قوة بذراعه» أو «جعل يده قوية» وهذا يدل على أن النبى الآتى سيكون مخلصا بالحرب، والمخلص بالحرب؛ يكون ملكا على البلاد التى يفتحها بسيفه وبرمحه. وعيسى عليه السلام لم يكن ملكا، ولم يخلصّ بالحرب. فإنه قال : «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

وقالت مريم العذراء ـ رضي الله عنها ـ : «شتّت المستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل الأعزاء عن الكراسى، ورفع المتضعين» وقد نزع الله الملك من بنى إسرائيل، وأعطاه لأمة بنى إسماعيل من محمد ﷺ كما قال عيسى عليه السلام لعلماء بنى إسرائيل: «إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويُعطى لأمة تعمل أثماره» وكما قال الله فى القرآن فى هذا المعنى : ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممنّ تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شىء قدير﴾

وقالت مريم العذراء ـ رضي الله عنها ـ : «أشبع الجياع خيرات، وصرف الأغنياء فارغين» وهذا يدل على كثرة الخيرات والطيبات فى زمان النبى الأمى الآتى.

وقد عبّر أنبياء بنى إسرائيل عن وفرة المال والأمن والسلام فى زمان النبى الآتى كما تنبأت هى. ومن ذلك قول إشعياء : «ماأجمل على الجبال قدمى المبشر، المخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص. القائل لصهيون : قد ملك إلهك» [إش٥٢ : ٧]، أى يظهر ويملك نبيه الأمى المماثل لموسى عليه السلام.

وقال عيسى عليه السلام : إن النبى الآتى على مثال موسى. وهو محمد ﷺ سيكثر الخير فى أيامه لأتباعه، وسيحرم من هذا الخير من لايدخل فى دينه من بنى

إسرائيل، ففى إنجيل لوقا : «وقال أيضا للذى دعاه : إذا صنعت غَداء أو عَشاء؛ فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيرانَ الأغنياء؛ لئلا يدعوك هم أيضا؛ فتكون لك مكافأة. بل إذا صنعتَ ضيافة؛ فادع المساكين. الجُدْعَ العُرج العُمى؛ فيكونَ لك الطُّوبَى. إذ ليس لهم حتى يُكافُوك؛ لأنك تُكافى فى قيامة الأبرار.

فلما سمع ذلك واحد من المتكئين، قال له : طوبى لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله. فقال له : إنسان صنع عَشاء عظيما، ودعا كثيرين، وأرسل عبده فى ساعة العشاء؛ ليقول للمدعوِّين : تعالوْا؛ لأن كل شئ قد أعدّ. فابتدأ الجميع برأى واحد يستعفون. قال له الأولَ: إنى اشتريتُ حقلا، وأنا مضطر أن أخرج وأنظره. أسألك أن تُعفينى. وقال آخر: إنى اشتريتُ خمسة أزواج بقر، وأنا ماض لأمتحنها. أسألك أن تُعفينى، وقال آخر: إنى تزوجتُ بامرأة؛ فلذلك لا أقدر أن أجىء. فأتى ذلك العبد، وأخبر سيّده بذلك.

حينئذ غضب رب البيت، وقال لعبده: اخرج عاجلا إلى شوارع المدينة وأزقّتها، وأدخل إلى هنا المساكين والجُدع والعُرج والعمى. فقال العبد: ياسيد قد صار، كما أمرتَ، ويوُجد أيضا مكان.

فقال السيد للعبد : اخرج إلى الطرق والسِّياجات، وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتى؛ لأنى أقول لكم : إنه ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائى» [لو ١٤ : ١٤ - ٢٤]

البيـــــان :

١- قال المسيح للرجل الذى استضافه : «لأنك تُكافَى فى قيامة الأبرار»، أى لك الجنة فى الدار الآخرة من بعد الموت. وهذا المعنى فى أول الزبور. وهو: «لاتقُوم الأشرار فى الدِّين ولا الخطاة فى جماعة الأبرار»، أى لارحمة لهم فى الدار الأخرة. وقد ذكرنا فى كتابنا «حياة القبور» أدلة كثيرة من التوراة وأسفار الأنبياء على أن يوم القيامة حق، لا ريب فيه. وقد أكثرنا من ذكر الأدلة؛ لأن كثيرين من المسلمين يعتقدون أن التوراة قد خلت من ذكر يوم القيامة. مع أنهم يقرأون فى القرآن أن الله قد حكى عن اليهود قولهم: إنهم إذا استحقوا النار؛ فإنهم سيدخلونها إلى مدة وتنتهى. وقولهم هذا لا

يقولوه إلا إذا كانت التوراة دالة عليه. يقول تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة...﴾

٢ـ قال واحد من اليهود : «طوبى لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله»، ولما كان ظاهر قوله هذا يدل فى نظر اليهود، على تمتّع اليهود وحدهم فى الملكوت الآتى بالخيرات والطيبات، لا تمتّع بنى إسماعيل. صرح المسيح بأن التمتع بالخيرات والطيبات فى الملكوت الآتى لن يكون إلا للمختارين من اليهود، ولبنى إسماعيل الذين آووا ونصروا واتبعوا النور الذى أُنزل على «ابن الإنسان» صاحب الملكوت. وذلك بضربه مثلا هو مثل العشاء العظيم. وفيه يصرح برفض الله لليهود الملاعين من التمتع بالخيرات والطيبات. ذلك قوله : «إنه ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين؛ يذوق عشائى».

المثل عند متى :

ومثل العشاء العظيم عند لوقا هو نفسه مثل عرس ابن الملك عند متى. والهدف منه واحد. وهذا هو نصه :

«وجعل يسوع يكلمهم أيضاً بأمثال قائلاً. يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه. وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس، فلم يريدوا أن يأتوا. فأرسل أيضا عبيدا آخرين قائلاً : قولوا للمدعوين: هو ذا غدائى أعددته. ثيرانى ومسمّناتى قد ذُبحت، وكل شيئ معدّ. تعالوا إلى العرس. ولكنهم تهاونوا ومضوا. واحد إلى حَقْله وآخر إلى تجارته. والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم. فلما سمع الملك؛ غضب،وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم. ثم قال لعبيده : أما العرس فمستعد. وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين. فاذهبوا إلى مفارق الطرق، وكل من وجدتموه؛ فادعوه إلى العرس. فخرج أولئك العبيد إلى الطرق، وجمعوا كل الذين وجدوهم، أشراراً وصالحين. فامتلأ العرس من المتكئين. فلما دخل الملك لينظر المتكئين؛ رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً لباس العُرس. فقال له: ياصاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس؟ فسكت. حينئذ قال الملك للخدام : اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه فى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان؛ لأن كثيرين يُدعون، وقليلين ينتخبون» [متى ٢٢ : ١ - ١٤]

البيـــــان :

بغض النظر عن الاختلاف فى نص المثل، فالعبيد غير العبد. ومعنى: «والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم» ولذلك أهلك القاتلين. ليس متفقا عليه. والمنافق غير متفق عليه أيضا. بغض النظر عن هذه الاختلافات؛ فإن حرمان اليهود الملاعين من الملكوت؛ واضح، وهزيمتهم فى الحرب التى سيشنونها ضد صاحب الملكوت الآتى؛ واضحة. وهذا يدل على أن المتمتعين بخيرات الملكوت الآتى هم بنو إسماعيل ومواليهم من العرب والعجم وسائر الأمم، الذين دخلوا معهم فى ملكهم وشريعتهم. ولذلك جاء فى القرآن الكريم : ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ - ﴿أو لم نمكن لهم حرما آمنا يُجبى إليه ثمرات كل شئ؟ رزقا من لدنا﴾ - ﴿ولو أنّ أهل الكتاب آمنوا واتّقوا؛ لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم. ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾.

* * *

وأعد قراءة قول مريم : «تُعظّم نفسى الرب» إلى قولها : «كما كلم الله آباءنا لإبراهيم ونسله إلى الأبد» - «لأنه يذكر الوعود التى وعد بها إبراهيم وابنه إلى الأبد»

ماهو الفرق بين «نسله» وبين «ابنه»؟

إن الابن هو إسماعيل الذى سيأتى من سلالته محمد رسول الله ﷺ ، وهذا مناسب لتبشير يحيى وعيسى به؛ فإنهما معا صرخا فى البرية بقولهما: «أعدوا طريق الرب» وهما معا دعوَا إلى اقتراب ملكوته، وهما معا طبقا نبوءة «الابن» عليه. ووالد يحيى وأم عيسى؛ فسّرا الخلاص بخلاص بالحرب، لا بخلاص من الخطايا ـ كما يزعم المسيحيون ـ ففى النص: «خلاص من أعدائنا، ومن أيدى جميع مبغضينا» وعيسى نفسه قد طبق نبوءة إشعياء عليه. وقال : إن اللاويين مقيمى الشعائر فى دين موسى، سيحل محلهم كل أتباع النبى الآتى؛ لأنهم سيكونون متعلمين من الله. وقال أيضا : «وفى جيله من كان يُظن» أن الخيرات فى ملكه ستكون كثيرة؟

ومع هذا. فإن «نسله» يدل على إسماعيل؛ وذلك لقوله فى سفر التكوين : «لأنه بإسحق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» ولقوله : «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» ولقوله : إن إسماعيل سكن فى فاران. وأن موسى قسم بركة إبراهيم على سيناء وفاران بقوله : «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال : جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران» يعنى بمجيء الرب من سيناء؛ نزول التوراة. والإشراق : هو التفسير فى ساعير ناحية القدس «أورشليم» والتلألؤ : هو مجيء القرآن الذى ستبدأ به بركة إسماعيل من جبل فاران. وهى أرض مكة المكرمة.

أما عن الوعود التى وعد بها إبراهيم :

فإنه وُعد من الله بإرث أراضى الأمم والشعوب. إذا جاهد مع الله «وقال له : أنا الله القدير. سر أمامى وكن كاملا؛ فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا» وقسم البركة بين إسماعيل وإسحق. لكل منهما ملك على الأمم بشريعة. ويبدأ إسحق أولا. ذلك قوله : «لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرا جدا. وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون» وقوله عن سارة : «وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها؛ فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون»

ولأن العهد هو للسير أمام الله. والسير جهاد فى سبيل الله، والجهاد يكون فيه قتلى فى ساحات المعارك؛ جعل الله الختان فى نسل إبراهيم «علامة عهد» ليتميز المؤمن من الكافر على أرض المعركة «يُختن منكم كل ذكر. فتختنون فى لحم غُرلتكم؛ فيكون علامة عهد بينى وبينكم» وقد أُلغى ختان الذكور فى دين الإسلام؛ لأن اليهود الذين كانوا يتميزون به عن عبّاد الأصنام، صاروا شبيهين بهم فى محاربتهم للمسلمين. أتباع محمد ﷺ.

لبس الحق بالباطل فى بركة إسماعيل :

وقال كاتب التوراة : «وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابنا، وتدعو اسمه إسحق، وأقيم عهدى معه عهدا أبديا؛ لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا

جدا. اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية» [تك ١٧. ١٨ - ٢١]

إنه يريد أن يجعل العهد بالنبوة فى بنى إسحق إلى يوم القيامة. وهو بهذا يكون ظالما لبنى إسماعيل. وقد رد الله عليه فى القرآن بقوله : ﴿لاينال عهدى الظالمين﴾ لبنى إسماعيل. وهذا العهد المعلوم والمعروف والمذكور فى «وأقيم عهدى معه عهدا أبديا» هو لإسماعيل خاصة. من دون نسل إبراهيم كلهم. وذلك لأنه حال إقامة هذا العهد فى إسماعيل، كان إسماعيلُ قد بلغ سنّ السعى على المعاش، وكان قد جاد بنفسه للذبح. ولم يكن إسحق قد ولد، ولا أى ولد لإبراهيم من بعده كان قد وُلد. ثم إن قول الكاتب فيما بعد : إن إسحق هو الذبيح؛ يدل على أن العهد المعلوم من «وأقيم عهدى معه عهدا أبديا» هو لإسماعيل؛ وذلك لأنه لو كان هذا العهد له، وذبح؛ لما تحقق العهد. ويلزم على عدم تحققه؛ خُلف الله لوعده. وهذا مستحيل على الله.

وفى إنجيل برنابا :

«حينئذ قال أندَراوس : لقد حدثتنا بأشياء كثيرة عن مَسِيًّا، فتكرم بالتصريح لنا بكل شىء. فأجاب يسوع : كلُّ من يعملُ، فإنما يعمل لغاية يجد فيها غِناء. لذلك أقول لكم : إن الله لما كان بالحقيقة كاملا، لم يكن له حاجة إلى غناء؛ لأن الغناء عنده نفسه. وهكذا لما أراد أن يعمل، خلق قبل كل شئ نَفْس رسوله، الذى لأجله، قصد إلى خلق الكل؛ لكى تجد الخلائق فرحا وبركة بالله، ويُسر رسوله بكل خلائقه التى قدر أن تكون عبيداً. ولماذا؟ وهل كان هذا هكذا إلا لأن الله أراد ذلك؟

الحق أقول لكم : إن كل نبى متى جاء؛ فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله. ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الّذى أُرسلوا إليه. ولكن رسول الله متى جاء، يُعطيه الله ماهو بمثابة خاتم يده؛ فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه، وسيأتى بقوة على الظالمين، ويُبيد عبادة الأصنام، بحيث يخزى الشيطان؛ لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً : «انظر فإنى بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما؛ هكذا سيفعل نسلكَ»

أجاب يعقوب يامعلم قل لنا بمن صُنع هذا العهد؟ فإن اليهود يقولون بإسحق،

والإسماعيليون يقولون بإسماعيل. أجاب يسوع ابن من كان داود؟ ومن أى ذرية؟ أجاب يعقوب : من إسحق؛ لأن إسحق كان أبا يعقوب ويعقوب كان أبا يهوذا الذى من ذريته داود. فحينئذ قال يسوع : ومتى جاء رسول الله. فمن نسل من يكون؟ أجاب التلاميذ :من داود. فأجاب يسوع : لاتغشّوا أنفسكم؛ لأن داود يدعوه فى الروح رباً قائلاً هكذا : «قال الله لربى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. يُرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك»[1] فإذا كان رسول الله الذى تسمونه مَسِيّا، ابن داود، فكيف يسميه داود رباً؟ صدقونى لأنى أقول لكم الحق إن العهد صُنع بإسماعيل لا بإسحق.

حينئذ قال التلاميذ: يامعلم هكذا كُتب فى كتاب موسى:أن العهد صنع بإسحق. أجاب يسوع متأوهاً : هذا هو المكتوب ولكن موسى لم يكتبه ولا يَشُوع. بل احبارنا الذين لايخافون الله. الحق أقول لكم : إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل؛ تعلمون، خُبث كتبتنا وفقهائنا؛ لأن الملاك قال : يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله. ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقاً يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله. أجاب إبراهيم : ها هوذا عبد الله مستعد أن يفعل كل مايريد الله.

فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا: خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة. فكيف يكون إسحق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟

فقال حينئذ التلاميذ : إن خداع الفقهاء لجلىُ. لذلك قل لنا أنت الحق؛ لأننا نعلم أنك مرسل من الله.

فأجاب حينئـذ يسـوع : الحق أقول لكم : إن الشيطان يحاول دائماً إبطال شريعة الله. فلذلك قد نجس هو وأتباعه والمراءون وصانعو الشر كل شئ اليوم. الأولون بالتعليم الكاذب والآخرون بمعيشة الخلاعة حتى لايكاد يوجد الحق تقريباً. ويل للمرائين؛ لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدانة وعذاباً فى الجحيم.

لذلك أقول لكم : إن رسول الله بهاءُ. يسر كل ما صنع الله تقريباً؛ لأنه مُزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوة، روح الخوف والمحبة، روح التبصر

---

(١) هذا النص جاء فى الأناجيل المقدسة عند المسيحيين [متى ٢٢ ٤١ -]

والاعتدال. مزدان بروح المحبة والرحمة. روح العدل والتقوى. روح اللطف والصبر التى أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه. ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم. صدقونى أنى رأيته، وقدمتُ له الاحترام، كما رآه كل نبى؛ لأن الله يعطيهم روحه نبوة. ولما رأيتهُ امتلأتُ عزاء قائلاً : يا محمد ليكن الله معك، وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك. لأنى إذا قلت هذا، صرتُ نبياً عظيماً، وقدوس الله. ولما قال يسوع هذا، شكر الله» أ.هـ .



الأصغر فى ملكوت الله

والأصغر فى ملكوت الله، أى آخر أنبياء الله على الأرض. وهو محمد ﷺ أعظم من يوحنا المعمدان. فى نظر عيسى عليه السلام؛ لقوله :

«إنه بين المولودين من النساء : ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه»

وأرسل المعمدان إلى عسيى عليه السلام يسأله : «أنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟» وهذا أمر يحتاج إلى مناقشة. وذلك لأنه هو والمعمدان كانا يشرحان نبوءات التوراة عن النبى الآتى، شرحا يدل على محمد ﷺ . وصرحا معاً باقتراب ملكوت السموات. وتحدثا عن محمد بلقب الابن. ونفى كل منهما أنه «المسيح» والمسيح فى لسانهم معروف أنه محمد ﷺ من نصوص التوراة التى تدل على مجئ مماثل لموسى. وهذا هو النص: «وفى اليوم التالى ذهب إلى مدينة تدعى نايين. وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير. فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول، ابن وحيد لأمه. وهى أرملة. ومعها جمع كثير من المدينة. فلما رآها الرب تحنن عليها. وقال لها: لا تبكى. ثم تقدم ولمس النعش؛ فوقف الحاملون. فقال: أيها الشاب لك أقول: قم. فجلس الميْت وابتدأ يتكلم. فدفعه إلى أمه. فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم، وافتقد الله شعبه. وخرج هذا الخبر عنه فى كل اليهودية، وفى جميع الكورة المحيطة. فأخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله. فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه، وأرسل إلى يسوع قائلاً : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ فلما جاء إليه الرجلان قالا: يوحنا المعمدان قد أرسلنا إليك قائلاً : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ وفى تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة، ووهب البصر لعميان كثيرين. فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما. إن العمى يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهَّرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يُبشّرون. وطوبى لمن لا يعثر فىّ. فلما مضى رسولا يوحنا. ابتدأ يقول للجموع عن يوحنا : ماذا خرجتم إلى البريّة لتنظروا؟ أقصبة تحركها الريح؟ بل ماذا خرجتم لتنظروا؟ أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة؟ هوذا الذين فى اللباس الفاخر والتنعّم، هم فى قصور الملوك. بل ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبياً؟

نعم أقول لكم: وأفضل من نبى. هذا هو الذى كُتب عنه: «ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيئ طريقك قدامك» لأنى أقول لكم: إنه بين المولودين من النساء، ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان. ولكن الأصغر فى ملكوت الله، أعظم منه» [لوقا٧: ١١ ـ ٢٨]

البيـــــان :

١ـ لقد أرسل المعمدان(١) إلى يسوع يسأله عن النبى الأمى الآتى إلى العالم على مثال موسى عليه السلام المكتوب عنه فى سفر التثنية : «يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون» ويقول له : «أنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟» وهذا أمر يحتاج إلى مناقشة وقد يُقال فيه :إن المعمدان يُريد أن يمنع ظنّا قد يَعْرض للأُمّيين بسبب لغو اليهود فى النبوءات الدالة على محمد ﷺ بقولهم: سيكون من اليهود. ولمنع هذا الظن أرسل يسأل عيسى عليه السلام وهو يعلم أنه سيجيب بالنفى. وهل صرح عيسى عليه السلام بأنه هو النبى الآتى إلى العالم؟ إنه لم يصرح. بدليل : ماجاء فى النص وهو أنه عمل معجزات كالتى يعملها يوحنا. ليبين لهم أنه هو يشبه يوحنا، ولكنه ليس هو.

وقد ظنّ الأُميون فى عيسى عليه السلام أنه هو النبى الآتى إلى العالم. ورد عليهم ظنونهم بانصرافه إلى الجبل وحده، ورفضِه الملك. ورفضُ الملك علامة على أنه ليس هو. فقد قال يوحنا فى إنجيله :

«فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع؛ قالوا : إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم. وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا، ويختطفوه؛ ليجعلوه ملكا؛

---

(١) قال صاحب قصة الحضارة عن يوحنا المعمدان :

إن يوسيفوس روى قصته بشىء من التفصيل. وهى تدل على أن المعمدان كان يبدو شيخا طاعنا فى السن. وقال : إنه إذا تابت بلاد اليهود كلها وتطهرت من الخطيئة؛ جاء «المسيح» وحلت «مملكة السماء» على الفور. يعنى بالمسيح الذى سيجئ : محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم.

ويقول ول ديورانت : إن تعاليم المسيح يسوع لاتفترق فى جوهرها عن تعاليم المعمدان. وقال يوسيفوس : إن سبب القبض على المعمدان هو خوف هيرودس من أن يكون يوحنا يستتر بستار الإصلاح الدينى؛ ليثير القلاقل السياسية فى البلاد. وليس لسالومى ابنة هيروديا؛ يد فى موته.

انصرف أيضا إلى الجبل وحده» [يو ٦ : ١٤ - ١٥] .

يقول الأستاذ عبدالأحد داود الأشّورى :

«حسب شهادة عيسى لايوجد ابن أنثى أعظم من يحيى، ولكن أقل من فى مملكة السماء أعظم من يحيى. إن المقارنة هى بين يحيى، وجميع الأنبياء فى مملكة السماء. وحسب الترتيب الزمنى؛ فإن آخر الأنبياء هو أصغرهم جميعا. وكلمة «زعيْرا» الآرامية، مثل كلمة «صغير» العربية، تعنى الصغير أو اليافع، وتستخدم نسخة الكتاب المقدس الآرامية «البشيتا» كلمة «زعيرا» مقابل كلمة «ربّا» التى تعنى «الكبير» أو «كبير السـن» إن كل نصرانى يعرف أن عيسى ليس آخر الأنبياء، ولذلك لايمكن أن يكون أصغرهم .

إن محمدا بلاشك هو الأصغر سنا فى سلسلة الأنبياء. ومع ذلك فهو صفوتهم وسلطانهم وسيدهم[1]» أ هـ .



(١) ص ١١٧ محمد ﷺ ـ عبدالأحد داود ـ مكتبة نهضة مصر بالقاهرة.

﴿مُصَدِّقًا بكلمة من الله﴾

وجاء فى القرآن الكريم : ﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيِّبة إنك سميع الدعاء. فنادته الملائكة وهو قائم يصلِّى فى المحراب أنَّ الله يُبشركَ بيحيى مُصدِّقًا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين﴾

وفى كتب التفسير : «أى يبشرك بغلام اسمه يحيى ﴿مصدقا بكلمة من الله﴾. أى مصدقا بعيسى، مؤمنا برسالته. وسمى عيسى كلمة الله؛ لأنه خُلق بكلمة ﴿كن﴾ من غير أب. ﴿وسيدا﴾، أى يسود قومه، ويفوقهم ﴿وحصورا﴾، أى يحبس نفسه عن الشهوات عفة وزهدا، ولايقرب النساء مع قدرته على ذلك» أ. هـ

والصحيح : ﴿وسيدا﴾، أى عالما دينيا كبيرا. والعالم الدينى الكبير من ذرية هرون يلقب بلقب «الرَّبى» والمعمدان من ذرية هرون عليه السلام. واللاويون وهم أقل رتبة من الربانيين. يطلق عليهم الأحبار. والحواريون كانوا من اللاويين والربانيين. وقد حثّهم المسيح على التواضع بقوله : إن علماء بنى إسرائيل «يحبّون المتكأ الأول فى الولائم، والمجالس الأولى فى المجامع، والتحيات فى الأسواق، وأن يدعوهم الناس سيّدى. سيّدى. وأما أنتم فلا تُدْعَوْا سيدى؛ لأن معلمكم واحد؛ المسيح، وأنتم جميعا إخوة» [متى ٢٣ : ٦ ـ ٨] وهو لايقصد بـ «المسيح» نفسه. وإنما يقصد الآتى من بعده. يقصد «المسيا الرئيس»، ﴿وحصورا﴾، أى كان من الرهبان المنذورين لله من الصغر. والمنذور لايتزوج. ومثله كان عيسى وأمه.

والصحيح : فى ﴿مصدِّقا بكلمة من الله﴾ أنه كان مصدقا بمحمد ﷺ ومبشرا به، ومؤمنا برسالته، وهذا من إخبار التوراة به. وهو أيضا مصدق بالتوراة التى كانت بين يديه فى زمانه. مثله مثل عيسى سواء بسواء. وفيها كلام كثير عن محمد ﷺ. ولُقِّب محمد بكلمة الله؛ لأن الله وعد بإرساله فى سفر التثنية، والوعد. تدل الكلمة عليه. وقال إشعياء عن وعده فى سِفْره: «وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد» والتصديق بالكلمة، معناه . أن المعمدان كانت رسالته هى التبشير بمحمد فقط. ولم ينسخ التوراة. والمسيح عيسى عليه السلام مثله كانت رسالته هى التبشير بمحمد ولم ينسخ التوراة. فهما

معا مصدقان للتوراة، وهما معا مبشران بكلمة الوعد، وهما معا مناديان باقتراب ملكوت الله، وهما معا لم ينشئا ديانة مستقلة عن ديانة موسى وبيان ذلك :

أن الله تعالى طلب من موسى عليه السلام أن يجمع له بنو إسرائيل نحو جبل طور سيناء؛ ليسمعوا كلامه وهو يتكلم مع موسى؛ فيتأكدوا من وجوده ويقوموا بالشريعة على الوجه الأكمل، ولما وصلوا إلى جبل الطور،حدث من هيبة الله رعد وبرق ونار ودخان، وارتجف كل الجبل ﴿ فلما أخذتهم الرجفة﴾،وسمعوا الكلام؛ قالوا لموسى : إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى؛ فليكن عن طريقك ونحن نسمع لك ونطيع. فقال الله لموسى : لن أكلمهم عن طريقك، وإنما عن طريق مماثل لك بعد مدة من الزمان. ولن يكون لك مماثل فى بنى إسرائيل. ولأنى قد باركت فى إسماعيل؛ فإن المماثل سيأتى منه: ذلك قوله : «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى. له تسمعون. . .إلخ» وهذا القول هو الخبر، الذى يبشر به المعمدان والمسيح عيسى ـ عليهما السلام ـ

الوعـــدُ هـو الكلمَـــة

وقد عبر أنبياء بنى إسرائيل عن وعد الله لبنى إسرائيل بإرسال نبى مثل موسى، له يسمعون ويطيعون؛ بكلمته. لأن الوعد لم يظهر لهم إلا بالكلام. ولولا الكلام، ماعُرف الوعد. كما يقول القائل :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنمـــا جُعـل اللسان على الفؤاد دليلا

فقد قال داود: «يُرسل كلمته فى الأرض سريعا جدا؛ يُجرى قَوْله» [مز ١٤٧ : ١٥] وفى القرآن الكريم: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ ـ ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ فما هو هذا القول؟ وما المراد بالدابة؟ ومامعنى «يجرى قوله»؟.

وقال داود : إن الله إذا أراد أن يهلك شيئا بالنار ـ مثلا ـ فإنه يعبر عن النار بكلمته؛ لأن كلمته هى للإهلاك. وقد حلت النار محل الإهلاك. فصارت النار حالة محل كلمته. فالنار تكون كلمته؛ لأنها عوضا عنها وكذلك الإهلاك بالبرد والثلج والضباب. ومن كلامه : «سبحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين، وكل اللجج. النار

والبرد، الثلج والضباب، والريح العاصفة الصانعة؛ كلمته» [مز ١٤٧ : ٧ ـ ٨]، ولما أراد أن يخلق المسيح ابن مريم. دل خلقه له، على أنه أمر بخلقه. والأمر يكون بالكلمة. فوجود الخلق هو دلالة على أمر وعلى كلمة سبقت على الخلق. ولذلك قال: ﴿إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ والخلق يدل على سبق الأمر. والأمر يدل على كلمة. ومثل ذلك: مثل عبد مملوك ذهب إلى السوق وأحضر مأكولا ومشروبا ومشموما ونقلا وسكرا وماء ورد وزعفرانا. فإنه إذا رأى إنسان كل هذا الذى أحضره العبد؛ يفهم بقلبه أن سيده هو الذى أمره بإحضار هذا كله. ويفهم أنه أمره بكلام خرج من فمه. وهذا هو معنى قول داود عليه السلام عن أمة محمد ﷺ :

«اهتفوا أيها الصديقون بالرب. بالمستقيمين يليق التسبيح. احمدوا الرب بالعود. بربابة ذات عشرة أوتار؛ رنّموا له. غنّوا له أغنية جديدة وأحسنوا العزف بهتاف؛ لأن كلمة الرب مستقيمة، وكل صُنعه بالأمانة. يحب البر والعدل. امتلأت الأرض من رحمة الرب. بكلمة الرب؛ صُنعت السموات، وبنسمة فيه كل جنودها. يجمع كندٍّ أمواه اليم. يجعل اللجج في أهراء. لتخش الرب كل الأرض. ومنه ليخف كل سكان المسكونة. لأنه قال؛ فكان. هو أمر؛ فصار. الرب أبطل مؤامرة، لاشَى أفكار الشعوب. أما مؤامرة الرب فإلى الأبد تثبت. أفكار قلبه إلى دَوْر فدور. طوبى للأمة التى الرب إلهها. الشعب الذى اختاره ميراثا لنفسه. من السموات نظر الرب، رأى جميع بنى البشر. من مكان سكناه تطلّع إلى جميع سكان الأرض. المصور قلوبهم جميعا. المتنبه إلى كل أعمالهم. لن يخلص الملك بكثرة الجيش. الجبار لا يُنقذ بعظم القوة. باطل هو الفرس؛ لأجل الخلاص. وبشدة قوته لا يُنجى. هو ذا عين الرب على خائفيه، الراجين رحمته؛ لينجى من الموت أنفسهم، وليستحييهم فى الجوع.

أنفسنا انتظرت الرب. معونتنا وتُرسنا هو؛ لأنه به تفرح قلوبنا؛ لأننا على اسمه القدوس؛ اتكلنا. لتكن يا رب رحمتك علينا، حسبما انتظرناك» [مزمور ٣٣]

البيـــــان :

إنه يتكلم عن الشريعة الجديدة الآتية بدل شريعة التوراة ويقول: «غنّوا له أغنية جديدة» ويشير بحمد الرب إلى اسم الآتى بها. ويطلب من الصديقين والمستقيمين أن يستعدوا لها بابتهاج قلب. وهى ستأتى؛ لأن الله وعد بها فى قوله: «يقيم لك الرب

إلهك نبيا . . .» ووعده : كلمته. وكلمته مستقيمة. ثم دلل على أنه قادر على إظهار وعده بقوله : ألست أنا الخالق للسموات بكلمتى؟ إننى لابد من أن أفى بوعدى «لأنه قال؛ فكان. هو أمر؛ فصار»

ثم تكلم عن الأمة الوارثة فقال :«طوبى للأمة التى الرب إلهها»

وخوّف اليهود وحذرهم من رفض هذا النبى، اتكالا على قوتهم. وقال: إن هؤلاء الآتين الخائفين من الله، سينجيهم الله من الشدائد، وسيطعمهم فى أيام الجوع. وقال : إن هذه الأمة المنتظرة تطلب رحمة الله «لتكن يا رب رحمتك علينا، حسبما انتظرناك» وكلام داود هذا؛ هو نفسه كلام إشعياء عن الكلمة. وقال فى نهايته كما قال داود. قال:« وأما منتظرو الرب؛ فيجدّدون قوة»

نبُوءة إشعياء عن الكلمة :

وقال إشعياء فى الأصحاح الأربعين: إن قول الله لبنى إسرائيل على لسان موسى:« يُقيم لك الرب إلهك : نبيا من وسطك من إخوتك. مثلى. له تسمعون. . .» هو وعد. والوعد هذا مسبوق بكلمة. وكلمة الله لا بد من تحققها فى حينها. ذلك قوله: «عزّوا عزوا شعبى. يقول إلهكم. طيبوا قلب أورشليم، ونادوها بأن جهادها قد كَمُل. أنّ إثمها قد عُفى عنه. أنها قد قبلتْ من يد الرب ضِعفين عن كل خطاياها. صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب. قوّموا فى القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاء يرتفع، وكل جبل وأكَمة ينخفض. ويصير المعوج مستقيماً، والعراقيب سهلاً. فيعلن مجد الرب، ويراه كل بشر جميعاً؛ لأن فم الرب تكلم. صوت قائل ناد. فقال : بماذا أنادى؟ كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب، ذبل الزهر؛ لأن نفخة الرب هبت عليه. حقاً الشّعب عُشب ، يبس العشب ذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد. على جبلٍ عالٍ اصعدى يا مبشرة صيهون. ارفعى صوتك بقوة يامبشرة أورشليم. ارفعى لا تخافى. قولى لمدن يهوذا : هو ذا إلهك. هو ذا السيد الرب بقوة يأتى، وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه وعُمْلته قُدّامه. كراع يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان، وفى حضنه يحملها، ويقودُ المرضعات . . .» [إش ٤٠]

انظر إلى قوله :«وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد» وانظر إلى النطق بها بعد تمام

جهاد بنى إسرائيل بشريعة موسى. وانظر إلى قوله: «عَزُّوا شعبى» تجد أن العزاء يدل على ميت، ويدل فى الوقت نفسه على حىّ. فمن هو المعزّى؟ ومن هو المعزَّى؟ من هو الحى؟ ومن هو الميت؟ لا بد من القول بأمَّتَيْن. أمة قد انتهى سيرها أمام الله. ولذلك تُعزَّى فى ضياع ملكها وشريعتها. وأمة تبدأ سيرها أمام الله. ولذلك تفرح بنعمة الله عليها. وكلمة الله بشريعة جديدة لها يسمعون ويطيعون. لابد من أن يظهرها إنسان. وهذا الإنسان لا يأتى من تلقاء نفسه، وإنما يأتى من الله. بكلمة منه وينصره ويمكّن له فى الأرض. ويقول المسيحيون : إن الكلمة فى نبوءة إشعياء هى عيسى عليه السلام وأنه هو الإنسان الآتى ليسمع له بنو إسرائيل ويطيعون. والنصوص لا تشهد لهم. وإنما تشهد لمحمد ﷺ . وعلى ذلك كله؛ يكوّن يحيى بن زكريا عليه السلام مصدقا بكلمة من الله، أى مبشرا بمحمد ﷺ كما كان يبشر به المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

وهذا هو نص الأصحاح الأربعين من سفر إشعياء بتمامه:

«عَزُّوا عزوا شعبى يقول إلهكم. طيبوا قلب أورشليم، ونادوها بأن جهادها قد كَمُل. أنّ إثمها قد عُفى عنه. أنها قد قبلتْ من يد الرب ضِعفين عن كل خطاياها. صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب. قوّموا فى القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاء يرتفع، وكل جبل وأكَمة ينخفض. ويصير المعوج مستقيما، والعراقيب سهلاً. فيعلن مجد الرب، ويراه كل بشر جميعاً؛ لأن فم الرب تكلم. صوت قائل ناد. فقال : بماذا أنادى؟ كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل يبس العشب، ذبل الزهر؛ لأن نفخة الرب هبت عليه. حقاً الشّعب عُشب، يبس العشب ذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد. على جبلٍ عالٍ اصعدى يا مبشرة صهيون. ارفعى صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم. ارفعى لا تخافى. قولى لمدن يهوذا : هو ذا إلهك. هو ذا السيد الرب بقوة يأتى، وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه وعُمْلته قُدّامه. كراع يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان، وفى حضنه يحملها، ويقودُ المرضعات. من كال بكفه المياه، وقاس السموات بالشبر، وكال بالكيل تراب الأرض، ووزن الجبال بالقبّان والآكام بالميزان؟ من قاس روح الرب، ومن مشيره يعلّمه؟ من استشاره فأفهمه، وعلمه فى طريق الحق، وعلّم معرفة، وعرفه سبيل الفهم؟ هوذا الأمم كنقطة من دلو، وكغبار الميزان؛ تُحسب. هوذا الجزائر يرفعها كدُقّة. ولبنان ليس كافياً للإيقاد، وحيوانه ليس كافياً لمحرقة. كل

الأمم كلا شيء قدامه. من العدم والباطل؛ تُحسب عنده. فبمن تشبهون الله؟ وأى شبه تعادلون به؟ الصنم يسبكه الصانع. والصائغ يغشيه بذهب ويصوغ سلاسل فضة. الفقير عن التقدمة ينتخب خشباً لا يسوس. يطلب له صانعاً ماهراً لينصب صنماً لا يتزعزع. الا تعلمون؟ الا تسمعون؟ ألم تخبروا من البداءة؟ ألم تفهموا من أساسات الأرض؟ الجالس على كرة الأرض وسكانها كالجندب الذى ينشر السموات، كسرادق، ويبسطها كخيمة للسكن. الذى يجعل العظماء لا شيئاً. ويُصيِّر قضاة الأرض كالباطل. لم يغرسوا،بل لم يُزرعوا، ولم يتأصل فى الأرض ساقهم. فنفخ أيضاً عليهم فجفوا والعاصف كالعصف يحملهم. فبمن تشبهوننى فأساويه؟ يقول القدوس. ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه؟ من الذى يخرج بعدد جندها؟ يدعو كلها بأسماء. لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يُفقد أحد.

لماذا تقول يايعقوب، وتتكلم يا إسرائيل : قد اختفت طريقى عن الرب، وفات حقى إلهى؟ أما عرفتَ أم لم تسمع؟ إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض، لا يكلّ ولا يعيا. ليس عن فهمه فحص. يُعطى المعيى قدرة، ولعديم القوة يكثر شدة. الغلمان يعيون ويتعبون، والفتيان يتعثرون تعثراً. وأما منتظرو الرب فيجدّدون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يُعيون» [إش ٤٠]

معنى كلمة الإنجيل

اقرأ قول إشعياء: «على جبل عال؛ اصعدى يا مُبَشِّرة صِهْيون. ارفعى صوتك بقوة يامبشرة أورشليم. ارفعى. لاتخافى. قولى لمدن يهوذا : هو ذا إلهك. هوذا السيد الرب بقوة يأتى. وذراعه تحكم له» .

إنه يقول : حينما يقترب زمان الوعد؛ سوف أرسل مبشرا به؛ يصرخ فى بنى إسرائيل : «أعدوا طريق الرب. قوّموا فى القفر سبيلا لإلهنا» والبشارة باللغة اليونانية هى «الإنجيل» وترجمته: «البشرى المفرحة» وقول إشعياء هذا يدل على أن البشرى المفرحة هى التبشير بمقدم النبى الأمى الآتى على مثال موسى. لقوله : «هو ذا السيد الرب بقوة يأتى» أى يأتى النبى الذى وعد به فى سفر التثنية والرب معه بنصره وعونه على أعدائه.

ويقول صاحب قصة الحضارة : «وكانت بداية تعاليمه - تعاليم يسوع - هى إنجيل يوحنا المعمدان. وهذا الإنجيل نفسه، يرجع إلى دانيال وأخنوخ. إذ ليس فى التاريخ طفرات. ومن أقواله : أن ملكوت الله قد حان أجله، وأن الله سيقضى عما قريب على عهد الشر والخبائث. وأن «ابن الإنسان» سيأتى «على سحب السماء» كناية عن تعظمه وارتفاعه. ترى ماذا كان يعنى بملكوت السموات؟ أهى سماء خيالية خارجة عن مألوف الطبيعة؟ يخيل إلينا أنها لم تكن كذلك؛ لأن الرسل والمسيحيين الأولين كانوا على بكرة أبيهم ينتظرون أن توجد مملكة أرضية، وكانت هذه هى الرواية اليهودية التى ورثها عنهم المسيح. ومن أجل هذا، كان يعلم أتباعه أن يصلّوا إلى الآب قائلين : «ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك. كما فى السماء كذلك على الأرض» أ. هـ

وإذا كان هذا هو معنى الإنجيل؛ وقد بشر عيسى من بعد المعمدان به. فإن المعمدان يكون صاحب إنجيل، هو نفسه إنجيل عيسى عليه السلام. وكل إنسان من بنى إسرائيل أو من غيرهم يبشر بمحمد ﷺ ويستدل بنبوءات التوراة عليه وهو يبشر به؛ فإنه يكون صاحب إنجيل شِبه الإنجيل الذى كان مع المعمدان وعيسى ابن مريم عليهما السلام؛ وذلك لأن الإنجيل الحقيقى كان فيه نص نبوءة من التوراة عن محمد ﷺ وتفسيرها عليه. وبعد الفراغ منها. يكتب نص نبوءة من التوراة ويضع بعدها تفسيرها عليه. وبعد الفراغ منها. يكتب نص نبوءة من التوراة ويضع بعدها تفسيرها عليه. وهكذا إلى أن يفرغ من ذكر النبوءات نبوءة. نبوءة.

وفى التوراة نُبوءات طويلة. ويمكن الاستغناء عن ذكرها كلها بآية منها. يضعها كاتب الإنجيل فيه. فيعلم القارئ بها موضع النبوءة. فيفتح كتاب التوراة ويقرأها فيه. ومثال ذلك : أن عيسى عليه السلام اكتفى وهو يحاور علماء بنى إسرائيل عن محمد صلى الله عليه وسلم بنبوءة إشعياء عن «مكة المكرمة» - المرموز إليها بالعاقر - بذكر آية واحدة منها. فهموا منها أنه يحيل إلى نص كامل للإفحام به. وهى : «وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيرا» وفى ترجمة : «ويكون الجميع متعلمين من الله» [إش ٥٤ يو ٦] وعلى هذا الذى قلناه فى «الإنجيل» وهو الحق الذى لاريب فيه. فإننا نسأل هذا السؤال : وهو لماذا أضاف الله الإنجيل إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ولم

يضفه إلى يحيى عليه السلام [1] وهما معا كانا يبشران بمحمد ﷺ ، والإنجيل هو البشرى؟

وإن قول الله تعالى : ﴿مصدّقا بكلمة من الله﴾ يدل على أن يحيى عليه السلام بشر بمحمد ﷺ واحتج بقول إشعياء : «وأما كلمة إلهنا؛ فتثبت إلى الأبد» وإن التشابه بين إيجاد يحيى على غير السنّة المألوفة فى العادة وبين إيجاد عيسى؛ واضح من الإنجيل وواضح من القرآن. فإليصابات أمه وهى قريبة ونسيبة لمريم كانت عاقرا. ومريم لم يكن لها زوج. وهما معا قريبان فى الزمان. وقد جاء فى القرآن : أن البشارة بهما كانت فى زمن واحد. فإن النبى زكريا لما رأى مريم تُطعم من أيدى الملائكة فى المحراب؛ طلب من الله ولدا؛ يرثه ويرث من آل يعقوب وفى الإنجيل نفس المعنى. وجاء فى الإنجيل أن يحيى بشر باقتراب ملكوت السموات من قبل أن يبشر به عيسى وأن عيسى بشر به من بعد موت يحيى. وعلى هذا يكون الله قد آتاه الحكم صبيا. كما يقول فى القرآن الكريم : ﴿وآتيناه الحكم [2] صبيا﴾ وذلك لأن الإنجيل يبين أن يحيى

---

(١) يقول صاحب قصة الحضارة :

«يحدد متى ولوقا ميلاد المسيح فى «الأيام التى كان فيها هيرودس ملكا على بلاد اليهود» أى قبل العام الثالث ق. م على أن لوقا يقول عن يسوع إنه كان «حوالى الثلاثين من العمر» حين عمّده يوحنا فى السنة الخامسة عشرة من حكم طيباريوس أى فى عام ٢٨ - ٢٩ م وهذا يجعل ميلاد المسيح فى عام ٢ - ١ ق. م ويضيف لوقا إلى هذا قوله : «وفى تلك الأيام صدر مرسوم من قيصر أوغسطس يقضى بأن تفرض ضريبة على العالم كله؛ حين كان كويرنيوس Quirinius واليا على سورية.

والمعروف أن كويرنيوس كان حاكما لسوريا بين عامى ٦ - ١٢ م ويذكر يوسيفوس أنه أجرى إحصاء فى بلاد اليهود. ولكنه يقول : إن هذا الإحصاء كان فى عام ٦ - ٧ ولسنا نجد ذكرا لهذا الإحصاء إلا هذه الإشارة.

ويذكر ترتليان إحصاء لبلاد اليهود، قام به سترونينس حاكم سوريا فى عام ٨ - ٧ ق. م فإذا كان هذا هو الإحصاء الذى يشير إليه لوقا؛ فإن ميلاد المسيح يجب أن يؤرخ قبل عام ٦ ق. م.

(٢) الحكم: هو القضاء على بنى إسرائيل. أى الفصل فى الدعوى. وبيانه: هو أنهم كانوا يختلفون فى النبى الآتى المماثل لموسى هل سيأتى من العبرانيين أم سيأتى من السامريين. فبين لهم أنه سيأتى من الإسماعيليين. واحتج على قضائه ببركة إسماعيل، وبأوصاف النبى الآتى المكتوبة عنه فى التوراة ومنها: أنه إذا أتى سيشن حروبا على اليهود، وسيتصر عليهم فيها. ذلك قوله: «الذى رفشه فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع القمح إلى مخزنه، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ...». وقد ذكر الله اختلافهم فى نبأ ظهور محمد فقال: ﴿عم﴾ اى عن أى شئ ﴿يتساءلون﴾ هل يتساءلون ﴿عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون﴾ ومحمد هو النبأ العظيم، لقوله: (قل هو نبأ عظيم) وهم فيه مختلفون فالسامريون يقولون سيأتى منا، والعبرانيون يقولون سيأتى منا .

مولود من قبل عيسى بستة أشهر. يقول متى :

١ـ فى أيام ولادة عيسى عليه السلام «جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [مت ٣ : ١ـ٢] .

٢ـ «ولما سمع يسوع أن يوحنا أُسلم» ـ «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز، ويقول : توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤ : ١٢و١٧] ومعنى ذلك : أن يسوع، ابتدأ دعوته بعد موت يوحنا المعمدان. وفى القرآن آيتان عنهما بمعنى واحد. هما:

١ـ ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ .

٢ـ ﴿والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾، لقـــد اشتركا فـى أ ـ الولادة ب ـ والموت لا القتل ج ـ والبعث من الأموات للدار الآخرة. وقال المسيحيون : إن المسيح قد قُتل. وقد رد الله قولهم بقوله : إن الموت شىء، والقتل شىء آخر. والعادة الجارية فى الناس تقول للميت بأجله : هذا ميت. وتقول للميت بغير أجله : هذا مقتول. وفى هذا يقول الله تعالى : ﴿أفإن مات أو قتل﴾ وقال عن محمد ﷺ : ﴿إنك ميت﴾ ولم يقل إنك مقتول. وقال المسيحيـون : إن يحيى قد قتـل. وقد رد الله عليهـم قولهـم. وذلك بإثبات المشابهـة بينه وبين عيسـى فى أن عيسى مات ولم يقتـل. وهو يكون مثله قد مات ولم يقتل. ذلك قوله تعالى : ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ فأثبت له موتا لا قتلا. فلماذا مع كل هذه المشابهات بين الاثنين؛ جاء فى القرآن لفظ (الإنجيل) مضافا إلى المسيح عيسى عليه السلام ولم يجئ مضافا إليه، وإلى النبى يحيى عليه السلام؟[1]

---

(١) قال ول ديورانت :

وقد انطبعت فى ذاكرته الأقوال الواردة فى أسفار الأنبياء والمزامير بنوع خاص. وكان لها أثر كبير فى تشكيله. ولعله قرأ أيضا سفرى دانيال واخنوخ؛ لأننا نجد فى تعاليمه المتأخرة أثرا كبيرا من رؤى «المسيح الموعود» و «مملكة السماء» أ. هـ

ويعتقد الأميون من المسيحيين أن «المسيح الموعود» سيأتى ليؤسس «مملكة السماء» فى نهاية الزمان وبعده تقوم القيامة والصحيح : أن عيسى عليه السلام قال : إن «المسيح الموعود» سيأتى أصحابه إلى «فلسطين» لفتحها بالقوة. ومن هول المعركة تسمى «يوم الحشر» فيوم الحشر ليس هو عند قيام القيامة، بل هو يوم دخول المسلمين القدس على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه. =

والإجابة على ذلك : هى أن المعمدان ويسوع لما قالا معا عن محمد ﷺ : «يأتى بعدى من هو أقوى منى» وعرف أهل الروم من قوليهما : أن النبى الآتى سيطرد أهل الروم من أرض فلسطين وغيرها، وسيمكّن لبنى إسماعيل فيها. اضطهدوا المؤمنين بدعوتيهما اضطهادا شديدا. وأجبروهم على ابتداع معنى؛ يصد الناس عن هذا النبى إذا جاء؛ لئلا يسرعوا فى الانضمام إليه ويزيلوا مملكة الروم. وكان فى العالم وقتئذ وثنيون كثيرون يدينون لروما بالولاء. ومنهم من كان يعبد آلهة متعددة، ومنهم من كان يعبد القيصر نفسه. ومنهم من كان يقول بحلول روح الآلهة فى البشر. ومنهم من كان يعبد تمثال إله مجهول. وقد ابتدعوا معنى من خوفهم من أهل الروم هو : أن المعمدان كان يقول عن الآتى من بعده : إنه هو عيسى عليه السلام. وإن الملكوت الذى دعا إليه هو ملكوت عيسى. وأن عيسى كان يقول : إن له مجيئًا آخر فى نهاية الزمان، سيكمل فيه ملكوت السموات الذى كان يدعو إليه. ثم أحلّوا عيسى محل آلهة الوثنيين. وقالوا : إنه هو الله وتجسد فى صورة بشرية هى صورة عيسى. وقالوا: إنه واحد من آلهة ثلاثة، وقالوا : إنه ابن الله، وقالوا : إنه روح الله. وكل ذلك قواه أهل الروم؛ ليكون جميع رعاياهم على دين واحد. يُدافعون عنه ضد الأعداء، وينشرونه بالحرب فى بلادهم؛ لتتسع رقعة مملكتهم. وقالوا : إنه قتل وصلب؛ ليغفر خطايا المذنبين، وقالوا : إنه نسخ شريعة موسى وألغى أحكامها. وأقنعوا رعاياهم من بعد سنة ٣٢٥م بأن دين الروم هو دين إلهى سماوى. وزعموا فى الاحتجاج على الإقناع به : أنه قد شهد المعمدان وهو نبى بصحته، وزعموا أيضا فى الاحتجاج : أن عيسى نفسه هو الإله وقد نزل من السماء نزولا حقيقيا، ومشى بين البشر، وغفر لهم ذنوبهم.

وعلى ذلك. أصبح يحيى وعيسى- عليهما السلام-وهما رسولان من الله؛ مفترى عليهما من البشر. وأصبح الناس الذين أراد الله لهم الهدى والنور؛ ضالين. والمناسب لقلب الحقائق، هو قذف الباطل بالحق. والحق : هو أن الله تعالى قال : إن هذا النبى ـ الذى هو عيسى فى نظركم ـ الذى جعلتموه إلها؛ إليكم الحق فى شأنه : وهو أننى اخترته ليهيئ الطريق لرسولى، المماثل لموسى. وآتيته الإنجيل. وأعطيته معجزات خارقة

= وفى القرآن الكريم : ﴿هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ يقصد أرض فلسطين. عاصمة الملك والشريعة. فى بنى إسرائيل؛ لأنه يتكلم عن عموم أهل الكتاب، لا عن سكّان جزء من الأرض.

للعادة، وأيدته بالنبى الذى بشر به. هذا هو الحق. ولو أن عيسى كان مكان يحيى، ويحيى كان مكان عيسى. وقال الضالون فى يحيى كما قالوا فى عيسى؛ لما ذكر الله إنجيل عيسى. وكان يقول عن يحيى : إننى اخترته ليهيئ الطريق لرسولى المماثل لموسى، وآتيته الإنجيل.

العهد القديم والجديد

ولما زعم المسيحيون وأهل الروم : أن يحيى كان يبشر بعيسى، وكان يقول عنه: «يأتى بعدى من هو أقوى منى» وأن عيسى هو النبى الأمى الآتى على مثال موسى؛ اضطروا اضطرارا أن يطلقوا على إنجيل عيسى لقب «العهد الجديد» فى مقابل «العهد القديم» الذى هو عهد التوراة.

وبيان ذلك :

أولا : إن الله تعالى عقد عهدا بينه وبين إبراهيم عليه السلام للسير أمامه فى جميع البلاد، لتعريف الناس به، ولمحو عبادة الأوثان. ذلك قوله: «أنا الله القدير سر أمامى وكن كاملا؛ فأجعل عهدى بينى وبينك، وأكثرك كثيرا جدا. . .إلخ» وقد حقق إبراهيم هذا العهد. وقد قال الله تعالى عنه فى القرآن الكريم : ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ وقال: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد. ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم. وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذن فى الناس بالحج﴾. . . وهذا يدل على أنه حارب عبّاد الأوثان، وبنى مساجد لعبادة الله، وطهّر الكعبة البيت الحرام بالسيف والرمح من عبّاد الأوثان، ومكن لعباد الله فى العبادة.

ثانيا:لما ظهرت بركة إسحق بموسى عليه السلام؛ أخذ الله عهدا على بنى إسرائيل بأن يعملوا بكل أحكام التوراة. ومن أحكامها الإيمان بالنبى المماثل لموسى [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] وبأن يمحو عبادة الأصنام من العالم، ويمكنوا لعبادة الله فى الأرض على وفق التوراة. ذلك قوله : «فالآن إن سمعتم صوتى، وحفظتم عهدى؛ تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب؛ فإن لى كل الأرض» وقد ردوا بقولهم: «كل ماتكلم به الرب؛ نفعل»

ثالثا: فى الأيام الأخيرة لبركة إسحق، وهى الأيام الأولى لبركة إسماعيل سوف يظهر النبى المنتظر، المكتوب عنه فى التوراة: «يقيم لك الرب إلهك: نبيا من وسطك من إخوتك مثلى. له تسمعون» وهذا النبى من بنى إسماعيل، وقد أخذ الله على بنى إسرائيل العهد على الإيمان به إذا ظهر. وهذا العهد هو: «فالآن إن سمعتم صوتى وحفظتم عهدى» لأنه عهد للعمل بكل ما فى الشريعة من أحكام: ومن أحكامها: الدخول فى دين النبى الذى سيخلف موسى فى إقامة الدين. وأيضا فى الحديث عن بركة إسماعيل؛ نص على عهد له. قد حرفه الكاتب إلى إسحق.

وعلى ذلك فعندنا عهد للكل لمحو عبادة الأوثان. وقد انتهى بظهور موسى. إذ من ظهوره صار الكل يمحون الأوثان بشريعته. وعهد لموسى هو يزول إذا ظهر النبى محمد، الآتى من إسماعيل. فيكون لموسى عهد ويكون لمحمد عهد. فهما عهدان. وإذا ظهر محمد بشريعته. فإنه يكون صاحب العهد الجديد الحال محل العهد القديم وهو التوراة.

ويدلُّ على هذا : قول إرمياء النبى فى الأصحاح الحادى والثلاثين من سفره. وهو : «ها أيام تأتى يقول الرب، واقطع مع بيت إسرائيل، ومع بيت يهوذا عهدا جديدا، ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتُ بيدهم؛ لأخرجهم من أرض مصر، حين نقضوا عهدى فرفضتهم. يقول الرب. بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام. يقول الرب. أجعلُ شريعتى فى داخلهم، وأكتبها على قلوبهم. وأكون لهم إلها، وهم يكونون لى شعبا. ولا يُعلّمون بعدُ كلٌّ واحد صاحبه. وكل واحد أخاه قائلين : اعرفوا الرب؛ لأنهم كلهم سيعرفوننى [1] من صغيرهم إلى كبيرهم. يقول الرب» [إر ٣١ : ٣١ - ٣٤] وقد قرن بُولُس بين شريعة التوراة، والإنجيل. ولقّب الإنجيل بالعهد الجديد، ولقب التوراة بالعهد القديم. وقال : إن شريعة الإنجيل قد نسخت شريعة التوراة. ذلك قوله : «فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب؛ لما طُلب موضع لثان؛ لأنه يقول لهم لائما : هو ذا أيام تأتى يقول الرب حين أُكمّل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا. . . .» [عبرانيين ٨ : ٧ -]

---

(١) هذا النص شبيه بقول إشعياء «وكل بنيك تلاميذ الرب» الذى استدل به عيسى عليه السلام على محمد ﷺ فى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا .

والرد عليه :

هو أن الإنجيل ليس شريعة مستقلة عن شريعة التوراة؛ لأن الإنجيل كتاب تبشير بخير. والتوراة كتاب تشريع وقوانين. وقد روى عن عيسى عليه السلام أنه قال : «ماجئت لأنقض الناموس أو الأنبياء» فالعهد الجديد هو القرآن، فى مقابل العهد القديم وهو التوراة.

يقول صاحب تاريخ الحضارة عن الأفكار المأثورة عن عيسى عليه السلام :

إنها من الأفكار التى وجدت عند اليهود قبل ذلك الوقت بمائة عام. ولقد نادت الشريعة بأخوة البشر قبل ذلك بزمن طويل. فقد جاء فى سفر اللاويين : «تحب قريبك كنفسك» {لا ١٩ : ١٨} و «كالوطنى منكم، يكون لكم؛ الغريب النارل عندكم، وتحبه كنفسك» {لا١٩ : ٣٤} وكان اليهود قد أُمروا فى سفر الخروج أن يحسنوا لأعدائهم، وكان إرمياء وإشعياء قد أشارا عليهم أن يُديروا خدهم لمن يلطمهم. وكان الأنبياء أيضا قد جعلوا الحياة الصالحة أعلى درجة من العداوة. أيا كان نوعها.

وقال عن لغة الإنجيل : إن المسيح قد أخذ بعض تشبيهاته الرائعة عن أنبياء بنى إسرائيل وكتاب المزامير وكتب أحبار اليهود. أ. هـ



التشابه في اللفظ والمعنى بين المعمدان ويسوع من جهة، وبينهما وبين التوراة من جهة أخرى.

نبين ههنا أمران :

الأمر الأول : أن الألفاظ المأثورة عن المعمدان فى وعظه وتبشيره بمحمد ﷺ هى نفسها الألفاظ المأثورة عن عيسى عليه السلام فى وعظه وتبشيره بمحمد ﷺ .

والأمر الآخر : أن الألفاظ والمعانى المأثوران عن المعمدان وعيسى - عليهما السلام - فى وعظهما وتبشيرهما بمحمد ﷺ قد أخذاها من التوراة.

يقول لوقا :

«وفى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طِيباريوُس قيصر. إذ كان بيلاطس البُنطى واليا على اليهودية، وهيرودس رئيس رُبع على الجليل. وفيلبّس أخوه رئيس ربع على إيطوريّة وكورة تراخونيتس وليسانيوس رئيس ربع على الأبلية. فى أيام رئيس الكهنة حنّان وقيافا؛ كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا، فى البرية. فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعودية التوبة لمغفرة الخطايا. كما هو مكتوب فى سفر أقوال إشعياء النبى القائل: «صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة. كل واد يمتلئ، وكل جبل وأكمة ينخفض، وتصير المعوجات مستقيمة، والشعاب طرقا سهلة، ويبصر كل بشر خلاص الله»

وكان يقول للجميع الذين خرجوا ليعتمدوا منه : ياأولاد الأفاعى من أراكم ان تهربوا من الغضب الآتى؛ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم: لنا إبراهيم أبا؛ لأنى أقول لكم : إن الله قادر أن يُقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم. والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لاتصنع ثمرا جيدا؛ تقطع وتلقى فى النار. وسأله الجموع قائلين : فماذا نفعل؟ فأجاب وقال لهم: من له ثوبان فليعط من ليس له، ومن له طعام، فليفعل هكذا. وجاء عشارون أيضا؛ ليعتمدوا. فقالوا له: يامعلم ماذا نفعل؟ فقال لهم: لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم. وسأله جنديون

أيضا قائلين : وماذا نفعل نحن؟ فقال لهم : لاتظلموا أحد، ولا تشوا بأحد، واكتفوا بعلائفكم.

وإذا كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا؛ لعلّه المسيح. أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعمدكم بماء ولكن يأتى من هو أقوى منى، الذى لست أهـلا أن أحُلّ سيـور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القـدس ونـار. الذى رفشه فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع القمح إلى مخـزنه، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» [لو ٣:١٠ -١٧]

وقال المسيح عيسى عليه السلام : «من الثمر تُعرف الشجرة. يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟» [متى ١٢ : ٣٣ - ٣٤].

البيـــــان :

أولا : قال المعمدان : «من له ثوبان؛ فليعط من ليس له. ومن له طعام؛ فليفعل هكذا» وقال المسيح : إن الله تعالى سيُعطى الفقير، سواء رضى الغنى أو لم يرض، أعطى أو لم يعطى. وسيستبدل البخيل بآخر؛ يكون وسيلة فى يد الله لإعطاء الفقير رزقه. وهو بهذا يحث الأغنياء على العطاء؛لينالوا الأجر والثواب. فيكون هو والمعمدان متفقان على الحثّ على إكرام الفقراء. ذلك قوله : «وقال لتلاميذه : من أجل هذا، أقولُ لكم : لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون، ولا للجسد بما تلبسون. الحياةُ أفضل من الطعام، والجسد أفضلُ من اللباس. تأمّلوا الغِربان إنهـا لاتزرع ولا تحصُد، وليس لها مخدَع ولا مخـزن، واللهُ يُقيتُها» [لو١٢ :٢٢ - ٢٤] .

ثانيا: قال المعمدان: إن النبى الأمى الآتى؛ سيهلك اليهود المناوئين له، والصادّين عن دعوته فى حروب لا قبل لهم بها، فى أيام ظهوره. وسمى يوم ظهوره بيوم الغضب الآتى. وقال : «كل شجرة لاتصنع ثمرا جيدا، تُقطع وتلقى فى النار»

وقال المسيح :«احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحُملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبا، أو من الحَسَك تينا؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة، وأما الشجرة الردية؛ فتصنع أثمارا ردية. لاتقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمـارا ردية، ولا شجـرة ردية أن تصنع

أثمارا جيدة. كل شجرة لاتصنع ثمرا جيدا؛ تُقطع وتُلقى فى النار. فإذاً من ثمارهم تعرفونهم» [متى٧: ١٥ - ٢٠] .

ثالثا: قال المعمدان : «من له ثوبان؛ فليعط من ليس له. ومن له طعام؛ فليفعل هكذا»

وقال الحواريون : «وأما من كان له معيشة العالم، ونظر أخاه محتاجا، وأغلق أحشاءه عنه، فكيف تثبت محبة الله فيه؟» [١يو ٣: ١٧] «إن كان أخ وأخت عريانين، ومعتازين للقوت اليومى، فقال لهما أحدكم : امضيا بسلام. استدفئا واشبعا، ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد. فما المنفعة؟» [يعقوب ٢ : ١٥ - ١٦]

رابعا: قَبِلَ المعمدان مخالطة الخطاة. خلافا لترفّع اليهود عن مخالطتهم. وقبل المسيح مخالطتهم كما قبلهم يوحنا المعمدان. «وجاء عَشّارون»، أى جباة ضرائب لصالح الرومان «أيضا ليعتمدوا» والمأثور عن عيسى عليه السلام أنه مدح المعمدان وأثنى عليه فى مخالطته للعشارين المكروهين من اليهود، وفى مخالطته للخطاة. وقال : إن الخطاة سيدخلون فى ملكوت الله، الذى هو دين محمد ﷺ من قبل دخول اليهود فيه. ومدح دعوة يوحنا بقوله : «لأن يوحنا جاءكم فى طريق الحق» وبين عيسى عليه السلام أن دعوة يوحنا هى نفسها دعوته. وضرب مثلين وهو يمدح دعوة يوحنا عن ملكوت الله. وهما مثل الابنان. وهما رمزان لبنى إسماعيل ولبنى إسحق. ومثل الكرامين الأردياء. والغرض منهما : انتقال ملكوت الله من بنى إسرائيل - حاملى بركة إسحق - إلى بنى إسماعيل.

وهذا هو نص الكلام :

«ولما جاء إلى الهيكل؛ تقدّم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. وهو يُعلّم. قائلين: بأىّ سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان؟ فأجاب يسوع وقال لهم: وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة. فإن قلتم لى عنها؛ أقول لكم أنا أيضا بأى سلطان أفعل هذا؟ معمودية يوحنا من أين كانت؟من السماء أم من الناس؟ففكروا فى أنفسهم قائلين: إن قلنا:من السماء، يقول لنا:فلماذا لم تؤمنوا به. وإن قلنا:من الناس؛ نخاف من الشعب، لأن يوحنا عند الجميع مثل نبى. فأجابوا يسوع وقالوا: لانعلم. فقال لهم هو

أيضا : ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا؟

ماذا تظنون؟ كان لإنسان ابنان. فجاء إلى الأول، وقال : ياابنى اذهب اليوم اعمل فى كرمى. فأجاب وقال : ماأريد. ولكنه ندم أخيرا ومضى. وجاء إلى الثانى وقال كذلك. فأجاب وقال : ها أنا ياسيد، ولم يمض. فأى الاثنين عمل إرادة الأب؟ قالوا له : الأول. قال لهم يسوع : الحق أقول لكم : إن العَشَّارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله؛ لأن يوحنا جاءكم فى طريق الحق؛ فلم تؤمنوا به. وأما العشارون والزوانى؛ فآمنوا به. وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيرا؛ لتؤمنوا به.

اسمعوا مثلا آخر :

كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر. ولما قَرُب وقت الأثمار؛ أرسل عبيده إلى الكرامين؛ ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضا، وقتلوا بعضا، ورجموا بعضا. ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيرا أرسل إليهم ابنه، قائلا: يهابون ابنى. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث. هلموا نقتله، ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم : ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له : أولئك الأردياء يُهلكهم هلاكا رديًا، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين، يُعطونه الأثمار فى أوقاتها. قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا. لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويُعطَى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضّض، ومن سقط هو عليه يسحقه.

ولما سمع رؤساء الكهنة والفَرّيسيُّون أمثاله؛ عرفوا أنه تكلم عليهم. وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه؛ خافوا من الجموع؛ لأنه كان عندهم مثل نبى» [متى ٢٠ : ٢٣ -]

خامسا:قول المعمدان للجنود: «لاتظلموا أحدا، ولا تشوا بأحد، واكتفوا بعلائفكم» قاله المسيح فى ثنائه على زكّا الخاطئ الذى تاب. فإن زكّا لما قال: «وإن كنتُ قد وشيتُ بأحد؛ أردّ أربعة أضعاف» رد المسيح عليه بقوله : «اليوم حصل خلاص لهذا البيت»

ونص الكلام :

«فلما جاء يسوع إلى المكان؛ نظر إلى فوق؛ فرآه. وقال له : يازكا. أسرع وانزل؛ لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك، فأسرع ونزل وقبله فرحا. فلما رأى الجميع ذلك تذمَّروا قائلين : إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ. فوقف زكّا، وقال للرب : ها أنا يارب أُعطى نصف أموالى للمساكين، وإن كنتُ قد وَشَيْتُ بأحد أردّ أربعة أضعاف. فقال له يسوع: اليوم حصل خلاص لهذا البيت. إذ هو أيضا ابن إبراهيم» [لو١٩ :٥ـ]

سادسا: وقول المعمدان : «ولا تشوا بأحد» وموافقة المسيح عليه. وقولهما بإكرام المساكين. مأخوذ من التوراة. فإن فيها: «لاتقبل خبرا كاذبا. ولاتضع يدك مع المنافق؛ لتكون شاهد ظلم» [خر ٢٣ :١] «وعندما تحصدون حصيد أرضكم. لاتكمّل زوايا حقلك فى الحصاد. ولقاط حصيدك؛ لاتلتقط. وكرمُك لاتُعلله. ونثار كرمك لاتلتقط. للمسكين والغريب تتركه. أنا الرب إلهكم» [لا ١٩ :٩ - ١١]

سابعا : التشبيه الوارد فى : «الذى رَفشه فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع القمح إلى مخزنه، وأما التبن فيحرقه بنار لاتطفأ»

١ ـ الحرق الوارد بنار لاتطفأ عند المعمدان. موجود عند المسيح فى قوله : «خير لك أن تدخل الحياة أقطع، من أن تكون لك يدان، وتمضى إلى جهنم، إلى النار التى لا تُطفأ. حيث دودهم لايموت، والنار لاتُطفأ» [مرقس ٩ :٤٣ -٤٤] .

٢ ـ والمعمـدان والمسيح قد اقتبسـا «بنار لاتطفأ» من التوراة، من سفر إشعياء. وهو: «ويخرجون ويرون جثث الناس، الذين عصوا علىّ؛ لأن دودهم لايموت، ونارهم لاتطفأ. ويكونون رَذَالة لكل ذى جسد» [إش ٦٦ : ٢٤]

ثامنا : انظر إلى قول المعمدان عن النبى الآتى : «وسينقى بيدره» كناية عن حرب ستقوم بينه وبين اليهود، وسيهلك فيها اليهود الأشرار. وسيضم الأخيار منهم إلى دينه. وذلك القول شبيه بتذرية القمح فى الهواء. فإن التذرية تفصل التبن عن الحب. والزارع يأخذ الحب. ويترك التبن للهواء وللحرق. وهذه التذرية تكون فى أيام الحصاد. وقد شبه المعمدان أيام النبى الآتى بأيام الحصاد ووصفه بأنه محارب قوى وشجاع بقوله: «وسينقى بيدره»

١ـ وقول المعمدان هذا. قد قاله المسيح. وهذا هو النص :

«قدّم لهم مثلا آخر قائلا : يشبه ملكوت السموات إنسانا زرع زرعا جيدا فى حقله. وفيما الناس نيام، جاء عدوه وزرع زِوانا فى وسط الحنطة، ومضى. فلما طلع النبات، وصنع ثمرا؛ حينئذ ظهر الزِّوان أيضا. فجاء عبيد رب البيت، وقالوا له: ياسيد. أليس زرعا جيدا زرعتَ فى حقلك؟ فمن أين له زِوان؟ فقال لهم : إنسان عدو فعل هذا. فقال له العبيد: أتريد أن نذهب ونجمعه؟ فقال: لا؛ لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه. دعوهما ينميان كلاهما معا إلى الحصاد. وفى وقت الحصاد أقول للحصادين : اجمعوا أولا الزِّوان، واحزموه حزما ليحرق. وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزنى» [متى ١٣ : ٢٤ -]

٢ـ والمعمدان والمسيح قد اقتبسا الحزم والبيدر والتذرية من التوراة. ففيها: «ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب؛ يكون ثابتا فى رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجرى إليه شعوب كثيرة، وتسير أمم كثيرة .

وفى نهاية الكلام: «إنه قد جمعهم كحزم إلى البيدر... وثروتهم لسيد كل الأرض» [ميخا ٤ : ١ـ]

تاسعا : العزة لبنى إسماعيل :

فى التوراة: «صوت مناد فى البرية: أعدوا طريق الرب، واجعلوا سبله مستقيمة. كل واد يُردم، وكل جبل وتل يُخفض» [إش ٤٠ : ٣ - ٥] وهو يدل على أنه فى ظهور النبى الأمى الآتى؛ سيُعزّ الله أمة، وسيذل الله أمة. والأمة العزيزة هى أمة بنى إسماعيل؛ لثبوت بركة فى نسله [تك ١٧ : ٢٠] والأمة الذليلة هى أمة بنى إسرائيل [تك ٤٩ : ١٠] حاملى بركة إسحق؛ لأن بركتهم ستزول بظهور بركة إسماعيل. وقد قال لوقا فى صلاة مريم: «أنزل الأعزّاء عن الكراسىّ، ورفع المتّضعين، أشبع الجياع خيرات، وصرف الأغنياء فارغين» [لو ١: ٥٢ ـ ٥٣] وقد أخذت مريم أم المسيح هذا المعنى من التوراة.

«ويكون فى آخر الأيام : أن جبل بيت الرب؛ يكون ثابتا فى رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجرى إليه كل الأمم وتسير شعوب كثيرة...» إلى أن قال : «أدخل إلى الصخرة، واختبئْ فى التراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته. تُوضَع عينا تشامخ الإنسان، وتُخفض رفعة الناس، ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم. فإن

لرب الجنود يوما على كل متعظم وعال، وعلى كل مرتفع؛ فيوضع» [إش ٢ : ٢ -]

«جبل الله جبل باشان. جبل أسنمة جبل باشان. لماذا أيتها الجبال المسنّمة ترصدن الجبل الذى اشتهاه الله لسكنه. بل الرب يسكن فيه إلى الأبد. مركبات الله. ربوات. ألوف مكررة. الرب فيها. سينا فى القدس. صعدت إلى العلاء...» [مز٦٨:١٦- ١٧]

عاشرا: قول المعمدان : «الذى رفشه فى يده» والرفش : هى المذراة. اقتبسه من التوراة. فإن فيها:

«فمن يشفق عليك ياأورشليم؟ ومن يعزّيك؟ ومن يميل ليسأل عن سلامتك؟ أنتِ تركتنى. يقول الرب. إلى الوراء سرتِ. فأمدُّ يدى عليك، وأهلكك. مللتُ من الندامة. وأذرِّيهم بمذراة فى أبواب الأرض. أثكلُ وأبيد شعبى» [إر ١٥:٥ - ٧] «وأرسل إلى بابل مُذَرِّين؛ فيُذَرُّونها، ويُفَرِّغون أرضها؛ لأنهم يكونون عليها من كل جهة، فى يوم الشر» [إر ٥١ : ٢] «لذلك كما يأكلُ لهيبُ النار القشَّ، ويهبِطُ الحشيشُ الملتهبُ؛ يكون أصلهم كالعفونة، ويصعدُ زهرهم كالغُبار؛ لأنهم رذلوا شريعة رب الجنود، واستهانوا بكلام قُدوس إسرائيل» [إش ٥ : ٢٤] «ها أنهم قد صاروا كالقش. أحرقتهم النار. لاينجون أنفسهم من يد اللهيب» [إش ٤٧ : ١٤]

الحادى عشر : قول المعمدان : «وأما التبن فيُحرقه بنار لاتُطفأ» يدل على يوم محدد للحرق. فما هو هذا اليوم؟ إنه يوم الحصاد عند المسيح. ويُطلق عليه علماء أهل الكتاب «يوم الرب العظيم» ويقولون هو يوم ظهور النبى الأمى الآتى بملكوته. وستحدث فيه حرب شديدة بين النبى وبين اليهود. وكان اليهود يستفتحون على الذين كفروا بهذا النبى، ويصفون أصحابه بالقوة.

يقول يوئيل :

«ليرتعد جميع سكان الأرض؛ لأن يوم الرب قادم؛ لأنه قريب. يوم ظلام وقتام. يوم غيم وضباب. مثل الفجر ممتدا على الجبال. شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل؛ ولايكون أيضا بعده إلى سنى دور فدور. قدامه نار تأكل، وخلفه لهيب يحرق. الأرض قدامه كجنة عدن، وخلفه قفر خرب، ولاتكون منه نجاة. كمنظر الخيل منظره، ومثل الأفراس يركضون. كصريف المركبات على رءوس الجبال يثبون. كزفير لهيب نار تأكل قشا. كقوم أقوياء مصطفين للقتال. منه ترتعد الشعوب. كل الوجوه تجمع حمرة. يجرون كأبطال. يصعدون السور كرجال الحرب، ويمشون كل واحد فى

طريقه، ولا يغيرون سبلهم، ولايزاحم بعضهم بعضا. يمشون كل واحد فى سبيله، وبين الأسلحة يقعون ولا ينكسرون. يتراكضون فى المدينة، يجرون على السور، يصعدون إلى البيوت، يدخلون من الكوى كاللص. قدامه ترتعد الأرض، وترجف السماء. الشمس والقمر يُظلمان، والنجوم تحجز لمعانها. والرب يعطى صوته أمام جيشه. إن عسكره كثيرا جدا؛ فإن صانع قوله قوى؛ لأن يوم الرب عظيم، ومخوف جدا. فمن يطيقه؟» [يوئيل ٢ : ١ - ١١]

ويقول إشعياء :

«لأن كل سلاح المتسلح فى الوغى، وكل رداء مدحرج فى الدماء، يكون للحريق مأكلا للنار؛ لأنه يُولد لنا ولد، ونعطى ابنا. وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام» [إش٩ :٥ - ٦] «ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب. ولذته تكون فى مخافة الرب؛ فلا يقضى بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضى بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض» [إش ١١ : ٢ - ٤]

*****

نص كلام يحيى ـ عليه السلام ـ
والتعليق عليه من ترجمة دار المشرق بلبنان

«فى السَّنَةَ الخامسَةَ عَشْرَةَ مِن حكم القيصر طيباريوس (١) إذ كان بُنطِيوس بيلاطُس حاكمَ اليهوديّة (٢) وهيرودس أمير الربع (٣) على الجليل، وفيلبس

(١) يفتتح لوقا رسالة يو حنا، وفى الوقت نفسه رسالة يسوع، بتحديد موقعهما من تاريخ العالم الوثنى ومن تاريخ شعب الله (راجع ١/٥ و ٢ / ١ - ٢ من الراجح أنه يحسب «السنة الخامسة عشرة من طيباريوس» على الطريقة السورية، من١/ ٢٧/١٠ إلى, ٢٨/٩/٣٠ وهناك من يحسبها من ٢٨/٨/١٩ أو من ١/١/ ٢٨ فانطلاقا من هذا النص،واستنتاجا من الآية٢٣أن يسوع كان قد أتم سنة الـ٢٩ حدد دنيزيوس الصغير،فى القرن السادس،مطلع عصرنا المسيحى. يبدو أن هذا التقدير يقصر عن الواقع بعدة سنوات.

(٢) «بيلاطس» حاكم «اليهودية» (بالمعنى الدقيق، راجع ١/ ٥ +) من السنة ٢٦ إلى السنة ٣٦، وكان محافظاً بالأحرى، بحسب الكتابة التى عثر عليها فى السنة .

(٣) حكم «هيرودس انتيباس» (راجع ٩/٧ - ٩و ١٣/ ٣١ - ٣٢ و ٢٣/٧ - ١٢) الجليل وعبر الأردن، من السنة ٤ق.م. إلى السنة ٣٩ب.م. يسمّى «أمير الربع» (٩/٧ ورسل ١٣/ ١) للتمييز بينه وبين أبيه «الملك» هيرودس الكبير(١/ ٥) .

أخوه أمير الربع على ناحية إيطورية وطراخونيطس (١) وليسانياس أمير الربع على أبيلينة(٢) وحنانُ وقيافا عظيمى الكهنة (٣) كانت كلمة الله إلى يوحنا بن زكريا فى البرية(٤) فجاء إلى ناحية الأردن كلها (٥) ينادى (٦) بمعمودية توبة (٧) لغفران الخطايا (٨) على ماكتب فى سفر أقوال النبى أشعيا (٩) .

«صوت مناد فى البرية: أعدوا طريق الرب، واجعلوا سبله قويمة. كل واد يردم، وكل جبل وتل يُخفض (١٠) والطرق المنعرجة تقوّم، والوعرة تسهل. وكل بشر يرى خلاص الله» (١١)

---

(١) حكم «فيليبس» عدة مناطق فى شمال بحيرة طبرية إلى الشرق من السنة ٤ق.م. إلى السنة ٣٤ب.م. لايذكر لوقا مناطقه فى الجولان وباشان وحوران، ويبدو أنه أكتفى بذكر أملاكه الوثنية، فيشير بذلك إلى أن إعلان الخلاص يعنى الوثنيين واليهود على حد سواء.

(٢) لا شك أن هذا الأمير المغمور يذكر هنا، لأن منطقة حكمه كانت فى أيام لوقا، خاضعة للملك اليهودى هيرودس أغريبا الثانى، ولأن هذه المنطقة كانت وثنية.

(٣) الترجمة اللفظية : «على عهد عظيم الكهنة حنان وقيافا» يذكر عظيم الكهنة فى الختام بصفة رئيس شعب الله، مقابل القيصر الوثنى. لم يكن هناك فى ذلك الزمان إلا عظيم كهنة واحد هو قيافا، وقد تولى السلطة من السنة ١٨ إلى السنة ٣٦ب.م. وكان لصهره «حنان» (يو ١٨/١٣) وهو عظيم كهنة سابق عزل فى السنة١٥ نفوذ واسع، وهذا مايبرر ذكر اسمه إلى جانب قيافا (راجع يو ١٨/١٣ - ٢٤ ورسل ٤/٦)

(٤) يعبر عن دعوة يوحنا بالألفاظ الواردة فى إر ١/١ (اليونانى) للدلالة على طابعها النبوى.

(٥) ورد فى متى ومرقس أن يوحنا ينادى فى البرية (راجع متى ٣/١ +) فى حين أن لوقا كتب أن يوحنا غادر البرية لينادى فى ناحية الأردن، وكان فيها عدد يُذكر من السكان، نتيجة للأبنية التى شيدها هيرودس الكبير وارخلاوس. فى نظر لوقا، تشكل هذه الناحية مكان يوحنا الخاص، كما أن الجليل واليهودية يشكلان مكان نشاط يسوع.

(٦) هذا اللفظ، الدال على المناداة العلنية، على طريقة المنادى (راجع متى ٣/ ١ +) هو من لغة المسيحية القديمة (١تس ٢/ ٩ , , ,) يطلقه لوقا على «مناداة» يسوع الأولية (٤/١٨ - ١٩) وعلى «تبشيره» العادى (٤/٤٤و٨/١) وعلى تبشير الرسل (٩/ ٢و١٢/ ٣و٢٤/ ٤٧ ورسل ١٠/ ٤٢) وبولس (رسل ٩/ ٢٠و/ ١٣/ ١٩ و٢٠/ ٢٥و٢٨/ ٣١) وسائر المرسلين (لو ٨/ ٣٩ ورسل ٨ / ٥)

(٧) راجع متى ٣/ ٢ + ,   (٨) راجع متى ١/ ٤ + ,

(٩) إش ٤٠/ ٣-٥ , عن طريقة الإزائيين فى ذكر الآية الاولى، راجع متى ٣/ ٣ + ,

(١٠) تعنى هذه الاستعارة في نظر أشعيا أن الله سيذلّ عظماء هذا العالم (أش ٢/ ٢ - ١٤ ومز ٦٨/ ١٦ -١٧). ولا شك أن لوقا يضفى عليها المعنى نفسه (راجع ١/ ٥٢ و١٤/ ١١ و١٨/ ١٤).

(١١) يستشهد لوقا بهذه الآية بحسب العهد القديم اليونانى ويختصرها. ويذكر منها أكثر مما ذكر متى ومرقس، للدلالة على أن يسوع سيأتى بالخلاص إلى «جميع» الناس. وسيعود إلى هذا الموضوع فى خاتمة سفر أعمال الرسل (٢٨/ ٢٨) .

وكان يقول للجموع التى تخرج إليه لتعتمد عن يده [1] : ياأولاد الأفاعى، من أراكم سبيل الهرب من الغضب الآتى؟ [2] فأثمروا إذاً ثمرا يدل على توبتكم [3] ولا تعللوا النفس قائلين : إن أبانا هو إبراهيم. فإنى أقول لكم: إن الله قادر على أن يخرج من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم. ها هى ذى الفأس على أصول الشجر، فكل شجرة لاتثمر ثمرا طيبا؛ تقطع وتلقى فى النار.

فسأله الجموع [4] : فماذا نعمل؟ فأجابهم : من كان عنده قميصان، فليقسمهما بينه وبين من لاقميص له. ومن كان عنده طعام، فليعمل كذلك. وأتى إليه أيضا بعض العشّارين [5] ليعتمدوا، فقالوا له :

يامعلم، ماذا نعمل؟ فقال لهم : لا تجبوا أكثر مما فرض لكم. وسأله أيضا بعض الجنود : ونحن ماذا نعمل؟ فقال لهم : لاتتحاملوا على أحد ولا تظلموا أحدا، واقنعوا برواتبكم.

وكان الشعب يتنظر، وكل يسأل نفسه عن يوحنا هل هو المسيح [6] فأجاب يوحنا

---

(١) فى إنجيل لوقا، توجه الإنذارات الواردة فى الآيات ٧ - ٩ إلى جميع سامعى يوحنا (فى إنجيل متى، إلى الفريسيين والصدوقيين) فهم كلهم خاطئون، محتاجون إلى التوبة بالنظر إلى الدينونة الآتية.

(٢) راجع متى ٣/٧ + .

(٣) راجع متى ٣/٨ + . يتكلم لوقا على «الثمر» بصيغة اسم الجمع، الأمر الذى يشير إلى الأعمال التى سيذكرها فى الآيات ١٠ - ١٤

(٤) الآيات ١٠ - ١٤ هى مقطع ينفرد به لوقا. أمام الإنذار بالدينونة، تُظهر الجموع والذين يُعدّون خاطئين توبتهم فيسألون : «ماذا نعمل؟» (راجع رسل ٢/٣٧ و١٦/ ٣٠ و٢٢/ ١٠) يعرض يوحنا عليهم أن يسلكوا سلوك الإخاء والبر، دون أن يفرض على جباة الضرائب والجنود أن يتخلوا عن حرفتهم التى كانت مستهجنة.

(٥) «العشارون» لم يكن يُنظر إليهم نظرة استحسان. بسبب تعاملهم مع المحتل الوثنى وبسبب تجاوزاتهم. وكان الرأى العام يجعلهم فى عداد «الخاطئين» (٥/ ٣٠ و٧/ ٣٤ و١٥/ ١ -٢ و١٩/ ٧) .

(٦) نترجم هنا بـ «المشيح»، لأن الذين يلفظون هذا اللقب يضفون عليه معنى قوميا وسياسيا (كذلك فى ٦٧/ ٢٢ و٢٣/ ٢ و٣٥ و٣٩ و٢٠/ ٤١) ونترجم هذه الكلمة بـ «المسيح» فى النصوص التى تظهر فيها جدّتها المسيحية (٢/ ١١ و٢٦ و٤/ ٤١ و٩/ ٢٠ و٢٤/ ٢٦ و ٤٦) وسيظل تلاميذ «يوحنا» زمنا طويلا يتساءلون هل معلمهم هو المشيح (راجع رسل ١٣/ ٢٥ ويو ١/ ١٩ - ٢٠ و٣/ ٢٨) .

قال لهم أجمعين [١] : أنا أعمدكم بالماء، ولكن يأتي من هو أقوى منى [٢] من لست أهلا لأن أفك رباط نعليه [٣] إنه سيعمدكم فى الروح القدس [٤] والنار [٥] بيده المذرى، ينقى بيدره، فيجمع القمح فى أهرائه، وأما التبن فيحرقه بنار لاتطفأ. [٦] وكان يعظ الشعب بأقوال كثيرة غيرها فيبلغهم البشارة» أ.هـ .

*****

---

(١) هذه الآية والتى تتبعها تشابهان متى ٣/١١ -١٢ ومر ١/٧ -٨ (راجع حواشيهما) .

(٢) ستكون للوقا عودة إلى اللقب المشيحى «القوى» فى ١١/٢٢ (راجع أش ٩/٥ و١١/٢) .

(٣) هذا عمل يقوم به العبد ولا يُفرض على خادم يهودى، علما بأن هذا الخادم ينتمى هو أيضا إلى الشعب المختار (راجع يو ٨/٣٣) .

(٤) هنا، وفى رسل ١/٥ و١١/١٦ يميز لوقا بين معمودية «الماء» (أو «بالماء» التى كان يوحنا المعمدان يمنحها. والمعمودية «فى الروح» التى سيُفتتح عهدها فى العنصرة. وهذا مايحمل على الاعتقاد بأن حرف «فى» لا يترجم فى لوقا بحرف «الباء» فليس الروح أداة، بل حضورا فعالا (راجع ٤/١) .

(٥) عن المعنى الأصلى لهذا الموضوع، راجع متى ٣/١١ + , لاشك أن لوقا يرى فى هذا الكلام إيماء بالعنصرة، فإنه يروى فيها مجئ «الروح» بهيئة ألسنة «نارية» (رسل ٢/٣ - ٤) وهذه الاستعارة تدل فى نظره على عمل الروح المطهر.

(٦) كثيراً ما أنبأ الأنبياء بـ «دينونة» الله فأشاروا إليها بمشاهد «للحصاد» فى فلسطين (راجع ١٠/٢ +) : مثلا: تذرية القمح (إر ١٥/٧ و٥١/٢) والنار التى تأكل العصافة (إش ٥/٢٤ و٤٧/١٤ ويوء ٢/٥ ونحو ١/١٠) ويوحنا بكلامه على النار «التى لاتطفأ» (راجع أش ٦٦/٢٤ ومز ٩/٤٣ و٤٨) يُظهر ما فى هذه الاستعارة من مغزى أخير.

الأناجيـل مبنيَّـة على الـتوراة

قرأتُ فى بعض تفاسير المسيحيين [1] للأناجيل :

١ - أن مخطوطات وادى قمران. أظهرت أن علماء جماعة قمران كانوا يفسرون نبوءات التوراة، عن النبى الأمى الآتى على مثال موسى. تفسيرا موضوعيًا؛ ليسهل على اليهود معرفته إذا جاء. ومن تفسيراتهم : عرض مافى سفر حبقُّوق عن النبى الآتى على التوراة.

وفى هذا السفر : أن القدوس جاءِ من فاران. وفى التوراة : أن إسماعيل سكن فى فاران. وأن موسى قال : إنه سيكون تلألؤ من فاران.

٢ - وأن متى كاتب الإنجيل عمل فى إنجيله، كعمل جماعة قمران. وذلك بذكره نبوءات التوراة عن النبى الآتى، وتفسيرها. وهذا مقاله K.Stendahl . ستيندال. فى كتابه «استخدام العهد القديم فى إنجيل متى» نشر سنة ١٩٦٧م .

٣ - نظرية الميدراش Midrash

يقول جولدر M.D.Goulder : إن معلمى اليهود كانوا يفسرون النص من التوراة. ويطلقون على النص والتفسير لقب «مِدراش» وهذا اللقب فى الكتابات اليهودية هو مصطلح فنى لكتابة أدبية تأخذ قالب تفسير مسهب لنص من العهد القديم.

والدليل على أن متى قد عمل إنجيله كمدراش : هو خلوه من تاريخ إخبارى خالص. وقد أيده جوندرى Gundry فى تفسيره، المطبوع سنة ١٩٨٢م وقال : إن متى حصل على الكثير من مادته من المصدر (Q) كيو. ومعناه : مجموعة أقوال للسيد المسيح. وهذا يدل على أن أقوال عيسى عليه السلام هى نبوءات التوراة عن النبى الأمى الآتى، وتفسيرها نبوءة نبوءة. إلى أن أتم إنجيله، بوحى من الله.

وأذكر ههنا مثالا يوضح كيفية تبشير عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ أمام علماء بنى إسرائيل فى المساجد، أثناء الصلاة الجامعة. وكيفية استدلاله بالتوراة عليه :

---

(١) تفسير متى مكتبة الثقافة المسيحية بالقاهرة .

النص :

فى الأصحاح التاسع والخمسين من سفر إشعياء . أن الله رفض بنى إسرائيل من السير أمامه لعلمه بأنهم سيظلمون. ولذلك سيأتى من غيرهم؛ الفادى الذى يقول الله عنه : «روحى الذى عليك، وكلامى الذى وضعته فى فمك؛ لايزول من فمك، ولا من فم نسلك، ولا من فم نسل نسلك. قال الرب من الآن وإلى الأبد» .

ثم تكلم فى الأصحاح الستين عن مجىء الخير إلى أمة غير يهودية. وقال فى حقها : «لا يُسمع بعد ظلم فى أرضك، ولا خراب أو سحق فى تخومك» ثم تكلم عن النبى الأمى الآتى منها فقال : «روح السيد الرب علىّ؛ لأن الرب مسحنى؛ لأبشر المساكين، أرسلنى؛ لأعصب منكسرى القلب؛ لأنادى للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق. لأنادى بِسَنَة مقبولة للرب، وبيوم انتقام لإلهنا. . .»

هذا هو مافى التوراة. ومعناه : أن إشعياء ينادى بسَنة مقبولة. هى السَّنة التى سيظهر فيها النبى المنتظر من غير اليهود؛ ليحارب أعداءه، ويخلّص المؤمنين به من الكفار بالحرب.

وقال لوقا : إن عيسى عليه السلام دخل مجمعا من مجامع اليهود، وقت الصلاة الجامعة، وقرأ هذا النص من التوراة. وقال بعدما فرغ من قراءته : «اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم» يقصد باليوم : أن زمان النبى المنتظر قد أوشك على المجىء. فتوبوا؛ لأنه قد اقترب. وقال لوقا : إن المسيح لم يقل لهم : إننى أنا المراد من النبوءة. وما ينبغى له أن يقول إنه هو المراد منها. وذلك لأنه لم يجئ بانتقام. وإنما قال لهم : إن النبى لايُقبل عادة فى وطنه. وإن كثيرين من اليهود سيعرفونه إذ جاء، ولن يؤمن به إلا القليل. كما كانت أرامل كثيرات فى أيام إلياس عليه السلام وواحدة منهن هى التى قَبلته. وكما كان بُرص كثيــرون فى أيام اليَسَع عليه السلام- اليشَع - ولم يطهر غيرَ نعمان السريانى. ولما سمعوا منه ذلك الكلام؛ أخرجوه من المدينة، وأرادوا قتله.

ولو أنك قرأت نص ماكتبه لوقا وأنت غافل عن تفاسير مفسريهم؛ لاتّضح لك منه ما اتضح لنا منه. وهذا هو النص بتمامه :

«وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى. ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت، وقام ليقرأ. فدُفع إليه سفر إشعياء النبى. ولما فتح السفر؛ وجد الموضع الذى كان

مكتوبا فيه: «روح الرب علىّ؛ لأنه مسحنى؛ لأبشر المساكين، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب، لأنادى للمأسورين بالإطلاق، وللعمى بالبصر، وأرسل المنسحقين فى الحرية. وأكرز بِسَنَةِ الرب المقبولة» ثم طوى السفر، وسلّمه إلى الخادم، وجلس. وجميع الذين فى المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم : إنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم. وكان الجميع يشهدون له. ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه، ويقولون : أليس هذا ابن يوسف؟ فقال لهم : على كل حال تقولون لى هذا المثل : أيها الطبيب اشف نفسك. كم سمعنا أنه جرى فى كفر ناحوم؛ فافعل ذلك هنا أيضا فى وطنك. وقال : الحق أقول لكم: إنه ليس نبى مقبولا فى وطنه. وبالحق أقول لكم: إن أرامل كثيرة كن فى إسرائيل فى أيام إيليا حين أُغلقت السماء مدة ثلاث سنين، وستة أشهر، لما كان جوع عظيم فى الأرض كلها. ولم يُرسل إيليا إلى واحدة منها إلا إلى امرأة أرملة، إلى صرفة صيداء. وبرص كثيرون كانوا فى إسرائيل فى زمان أليشع النبى، ولم يطهّر واحد منهم إلا نعمان السريانى.

فامتلأ غضبا جميع الذين فى المجمع حين سمعوا هذا. فقاموا وأخرجوه خارج المدينة، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه، حتى يطرحوه إلى أسفل. أما هو، فجاز فى وسطهم ومضى» [لو ٤ :١٦ - ٣٠]

لاحظ :

١ - أن المدة فى التوراة ثلاث سنوات فقط [١ مل ١٨ :١] ويلزم على هذا : إما أن لوقا أخطأ. وإما أن المسيح قد نقل من نص توراة غير معروف.

٢ - إن لوقا أخطأ فى قوله إنه تربى فى «الناصرة»، وذلك لأنه كان من العبرانيين، وتربى فى «القدس» والناصرة من نصيب سبط زبولون وهم من السامريين.

٣ - إن مريم ظلت عذراء إلى أن ماتت. فمن أين يكون ابنا ليوسف؟

٤ - إن المسيح ضرب المثل بامرأة أرملة من الأمم، لامن اليهود، وبنعمان الآرامى. وهو لم يكن من اليهود. وهذا له مغزى عميق. وهو أن ملكوت الله الآتى لن يكون لليهود من دون الناس. [راجع٢ مل ٥ : ١ - ١٤ أيضا: ١ مل ١٧ :٨ -]

٥ - وللملاحظات أخرى : يُراجع كتابنا اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة. وكتابنا البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل.

نقد نظرية المِدْراش

ونظرية المدراش Midrash عند جولدير M.D.Goulder فى كتابه Midrash & Lection in Mathew سنة ١٩٧٤م هى نظرية صحيحة وقت أن كان إنجيل متى فى الأصل عليها؛ وذلك لأن معلمى اليهود كانوا يجلسون بجانب الأعمدة فى المساجد الكبيرة، ويملون على طلاب العلم؛ النص من التوراة وشرحه وكان على شاكلتهم يوحنا المعمدان والمسيح عيسى ـ عليهما السلام ـ وكان من الطلاب من يحضر قليلا، ومن يحضر كثيرا، ويتبادلون الذى كتبوه عن المعلمين. وقد لازم المسيح حواريوه، وكتبوا عنه المواعظ، ونصوص النبوءات عن النبى المنتظر وشرحها، وسمى كل حوارى ماكتبه «مدراش» أوإنجيل. ومنهم من أطال، ومهم من قصّر. ووُجد عند بعضهم مالم يكتبه غيره. ولما ترك المسيح إنجيله مكتوبا، اكتفوا به. ثم إنهم اجتمعوا ودونوا ماتذكروه من سيرة حياته، ووضعوا فى سيرته؛ محاوراته مع اليهود، وأقواله ـ التى هى إنجيله ـ وهو عبارة عن نصوص التوراة عن النبى المنتظر وتفسيرها على محمد ﷺ ووضعوا هذا الكتاب فى قرار مكين. ثم إن كل واحد منهم استعان به فى كتابة إنجيله وهو متوجه إلى المدينة التى هو قاصدها؛ للتبشير فيها.

وفى أول مجمع عُقد لتحريف النصرانية. حضر من سمعوا من متى، بما كتبه لهم متى، على طريق المدراش الأصلى. وحضر من سمعوا من يوحنا، بما كتبه لهم يوحنا. وكثيرون حضروا بما عندهم من العلم الصحيح. وحضر مع هؤلاء الأمناء؛ جماعات من الخونة كان يتزعمهم «أثناسيوس» وغرضهم : القول بأن المعمدان كان يبشر بيسوع، وأن يسوع كان يبشر بنفسه فى مجيئه الثانى حال قيام القيامة، وانتهاء الحياة الدنيا. مع قراءتهم فى إنجيل يوحنا؛ قول المسيح : «ولست أنا بعد فى العالم» [يو١٧ : ١١]

وقد ظهر فريق وسط بين الأمناء والخونة. واظهروا وساطتهم على النحو التالى:ـ

أولا : يُوضع فى كل إنجيل من أناجيل الأمناء، عبارات. تدل على صحة غرض الخونة. على طريقة لبس الحق بالباطل. أى أنهم لم يحذفوا الحق كله، ولم يضعوا الباطل كله.

ثانيا : قالوا للأمناء اقبلوا وساطتنا؛ وذلك لأن نصوص التوراة الوجودة مع الكل. هى تدل على غرضكم. ولو فرضنا ضياع الأناجيل الصحيحة كلها من العالم، فإن التوراة تدل على محمد ﷺ أقوى مما تدل الأناجيل عليه. إذ هى خبر، والأناجيل

بشرى بقرب تحقق الخبر. والبشرى تدل على معرفة الناس أجمعين للخبر. وإذا لم تكن البشرى؛ فإن الخبر كائن. ومنه يُعرف المطلوب منه. كما يعرف الرجل أبناءه. أليس اليهود المنكرين للأناجيل ولأصحابها وللمسيح وللمعمدان يعرفون محمدا كما يعرفون أبناءهم؟ إذا التوراة تكفى فى التعريف به. إذاً التحريف لايضر فى بيان الغرض من دعوة المسيح والمعمدان؛ لأن التوراة تكشفه.

وتم تعديل الأناجيل المتخبة على النحو التالى :

أولا : كتبوا عن المعمدان والمسيح عيسى - عليهما السلام - أنهما نطقا نبوءات من التوراة تدل على النبى المنتظر، وتعرّف به. ثم شرحاها شرحا يدل على محمد ﷺ مثل : نبوءة الابن فى الزبور، ونبوءة الكلمة فى سفر إشعياء، ونبوءة ملكوت السموات فى سفر دانيال. وأن كلا منهما قد اعترف بأن النبى الآتى على مثال موسى عليه السلام سيأتى من بعدهما. وأنه سيكون محاربا وفاتح بلاد.

ثانيا : حشروا فى الأناجيل المتخبة نصوص نبوءات من التوراة. هى لمحمد ﷺ وزعموا : أنها تصدق على يسوع المسيح. وعلى هذا التعديل. يقول القراء عن إنجيل متى وغيره : إنه مكتوب من اثنين. وفكر أحدهما مضاد لفكر الآخر. وهدف الأول : هو إثبات أن محمدا هو المسيا المنتظر، وهدف الآخر : هو إثبات أن يسوع هو المسيا المنتظر. ونصوص التوراة هى التى تحكم بين الاثنين، وليس العلماء الأمناء، وليس العلماء الخونة هم الذين يحكمون يقول مفسرو إنجيل متى : «هذا التناقض قد أدّى ببعض النقاد إلى القول بأن ثمة عنصرين متنافرين، جُمعا فى كتاب واحد[1]» أ.هـ

والآن أبين أمرين:

الأمر الأول : أن نظرية المدراش قد تفككت وعُدلت ونقحت، بعد المجمع المسكونى الأول سنة ٣٢٥م فى نيقية بتركيا والأمر الآخر : أن محرفى إنجيل متى قد وضعوا فيه الباطل بجوار الحق.

أما عن الأمر الأول :

فإن المدراش فى أصله هو أ - نص ب - وتفسير. كمقالة أدبية رائعة. وفى إنجيل متى أُدمجت نصوص بلا تفسير. ومثال ذلك :

---

(١) ص ٩ التفسير الحديث للكتاب المقدس - إنجيل متى - دار الثقافة المسيحية بالقاهرة.

أ ـ «فلما اعتمد يسوع؛ صعِد للوقت من الماء. وإذا السموات قد انفتحت له. فرأى روح الله نازلا، مثل حمامة، وآتيا عليه. وصوت من السموات قائلا : هذا هو ابنى الحبيب، الذى به سُررت؛ ثم أُصعد يسوع إلى البرية...» [متى٣:١٦ ـ].

ب ـ «وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيّرة ظللتهم، وصوت من السحابة قائلا : هذا هو ابنى الحبيب، الذى به سررت. له اسمعوا» [متى ١٧ :٥]

فى هذا المثال ثلاث نبوءات من التوراة. وكل نبوءة تدل على محمد ﷺ والمحرف أدمج النبوءات الثلاث فى نص واحد، بلا شرح.

النبوءة الأولى :هى نبوءة المزمور الثانى. وفيها : «قال لى : أنت ابنى...إلخ».

النبوءة الثانية : هى الأصحاح الثانى والأربعين من سفر إشعياء، ومابعده. وهى نبوءة العبد المسالم وأولها : «هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سُرّت به نفسى، وضعت روحى عليه؛ فيخرج الحق للأمم. لايصيح ولا يرفع ولا يُسمِع فى الشارع صوته. قصبة مرضوضة لايقصف، وفتيلة خامدة لايُطفئ. إلى الأمان يُخرج الحق. لايكلّ ولا ينكسر، حتى يضع الحق فى الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته...».

النبوءة الثالثة : هى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية. وهى نبوءة النبى الأمى المماثل لموسى. وفيها : «له تسمعون»

فهل الوضع الحالى لإنجيل متى؛ مِدراش؟

وأما عن الأمر الآخر :

فإننا سنمثل له بنص النبوءة الثانية [إش ٤٢ : ١ ـ] وسنبين أنها لمحمد ﷺ من النص نفسه. وهو:

«وتنتظر الجزائر شريعته. هكذا يقول الله الرب، خالق السموات وناشرها، باسِط الأرض ونتائجها. معطى الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحا. أنا الرب قد دعوتُكَ بالبِرّ. فأُمسك بيدكَ، وأحفظك. وأجعلك عهدا للشعب، ونورا للأمم؛ لتفتح عيون العمى، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن، الجالسين فى الظلمة. أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر، ولاتسبيحى للمنحوتات. هو ذا الأوّليّات قد أتت، والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تَنْبت، أُعلمكم بها. غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحه من أقصى الأرض. أيها المنحدرون فى البحر، وملؤه، والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها. الديارُ التى سكنها قِيدَار. لتترنم سكان سالِع. من رءوس الجبال؛

ليهتفوا، ليعُطوا الرب مجدا، ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر. الرب كالجبار يخرج. كرجل حروب يُنهض غيرته. يهتفُ ويصرخُ ويقوى على أعدائه»

البيان :

إنه يصف العبد المسالم بأنه صاحب شريعة هى أمان وسلام وسيقاتل ليضع الحق فى الأرض «لا يكلّ ولاينكسر» فهل قاتل المسيح عيسى عليه السلام وقدم للعالم شريعة هى أمان وسلام؟ هل قدم أغنية جديدة كناية عن الشريعة المغايرة للشريعة القديمة وهى شريعة التوراة؟ انظر إلى قوله : «الرب كالجبار يخرج»، أى نبى الرب يخرج لقتال أعدائه «ويقوى على أعدائه» وانظر إلى قول المسيحيين فى يسوع الذى يدعى المسيح. تجد أن النبوءة متحققة فى محمد ﷺ فإنه حارب وجاهد وقاتل فى سبيل الله. وتجد أن يسوع الذى يُدعى المسيح يقول : «أعطوا مالقيصر لقيصر، ومالله لله».

واستمر أنت فى القراءة إلى إعلان رفض الله لبنى إسرائيل من السير أمامه، وتسليم الشريعة إلى شعب قد اختاره الله لنفسه. وهو شعب بنى إسماعيل المبارك فيه من الله. إنه يقول : «لاتذكروا الأوليات. والقديمات لاتتأملوا بها. ها أنذا صانع أمرا جديدا. الآن ينبتُ. ألا تعرفونه؟ أجعل فى البرية طريقا، فى القفر أنهارا. يمجدنى حيوان الصحراء. الذئاب وبنات النَّعام؛ لأنى جعلتُ فى البرية ماءً. أنهارا فى القفر؛ لأسقى شعبى. مختارىّ. هذا الشعب؛ جبلتُه لنفسى، يُحدِّث بتسبيحى. وأنت لم تدعنى يايعقوب، حتى تتعب من أجلى ياإسرائيل» [إش ٤٣ :١٨ - ٢٢]

إنه يقول : إن الجديد الذى ساصنعه؛ الآن ينبت فى زمان إشعياء. وسيتم الإنبات، فيما بعد. وعبر عن الرخاء والخيرات فى عهد النبى الآتى بقوله : «أجعل فى البرية طريقا، فى القفر أنهارا» وعبر عن السلام بقوله : «يمجدنى حيوان الصحراء» وكل ذلك «لأسقى شعبى. مُختارى. هذا الشعب جَبلتُه لنفسى» ولماذ يأتى هذا الشعب الجديد عوضا عن اليهود؟ إنه يأتى «يحدث بتسبيحى»، ولماذا رفض الله شعبه بنى إسرائيل؟ «وأنت لم تدعنى يايعقوب، حتى تتعب من أجلى يا إسرائيل» والمسيح عيسى عليه السلام من بنى إسرائيل. ومحمد عليه السلام من قِيدار بن إسماعيل، المبارك فيه.

وقد تطابقت هذه النبوءة مع القرآن الكريم، فى قوله تعالى : ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا...﴾ وجاءت فى حديث نبوى، منسوب إلى كعب الأحبار.

إنجيل تُومَا القُبطى

The Coptic Gospel Thomas

أ ـ يُوجد فرق بين إنجيل تُوما الذى يحكى عن ميلاد المسيح عيسى عليه السلام.

ب ـ وبين إنجيل توما الذى يحكى أقوالا صدرت من فم عيسى عليه السلام.

وكلامنا هنا عن إنجيل توما الذى يحكى الأقوال.

مميزات إنجيل توما القبطى :

إنه بيّن أن «المَسِيًّا الرئيس» الذى تفسيره «المسيح» الذى ينتظره اليهود إلى هذا اليوم والذى يقول المسيحيون فيه إنه هو عيسى فى مجيئه الثانى المتزامن مع يوم القيامة هو محمد ﷺ ويقول المسيحيون : إن من أسباب رفضهم لإنجيل بَرنابا : أنه أظهر أن «المَسِيًّا» الذى تفسيره «المسيح» ليس هو يسوع ابن مريم، بل هو محمد رسول الله. ويقولون : إن كاتبا كتبه فى «الأندلس» من بعد الإسلام لينتصر للمسلمين. فماذا يقولون اليوم فى إنجيل توما وقد عثروا هم أنفسهم عليه فى «نجع حمّادى» وهى مدينة من مدن مصر؟ وقالوا: إن الأقوال المكتوبة فيه ترجع إلى القرن الأول للميلاد.

بين يدىّ الآن مقالة كتبها Beatg Blat بيتـزبلات / باللغة الإنجليزية عن إنجيل توما القبطى. وفيها يقول الكاتب : «إن يسوع أيضا ليس هو «المَسِيًّا» المنتظر. من قِبَل الأنبياء» والنص الإنجليزى فى صفحة ١١٤ هو :

"Jesus is also not the Messiah expected by the Prophets -(log. 52)"

وجاء فى إنجيل توما القبطى : مَثَل الأمة الإسلامية المذكور فى القرآن الكريم. وهذا المثل لم يذكره بَرنابا. وذكره متى ومَرقس ولوقا. يقول تعالى : ﴿ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره، فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾، وهذا المثل قد ضربه المسيح عيسى عليه السلام لبيان كيفية انتشار الملكوت. وهذا هو نصه :

« ٢٠ قال التلاميذ ليسوع: أخبرنا عن شكل ملكوت السموات. فقال لهم: إنه

مثل حبة الخردل، الصغيرة فى كل الحبوب، ولكنها عندما تسقط على الأرض؛ تنمو وتصبح ذات فروع كبيرة، والفروع تكون مسكنا لطيور السماء»

"20 The disciples said to Jesus : Tell us what king doom of heaven is like. He said to them : It is like a grain of musfard-seed, the smallest of all seeds' but when it falls on tilled ground, it puts forth a great branch and becomes shelfer for birds of heaven"

والنص فى إنجيل مرقس : «وقال. هكذا ملكوت الله كأن إنسانا يلقى البذار على الأرض وينام ويقوم ليلا ونهارا. والبذار يطلع وينمو وهو لايعلم كيف؛ لأن الأرض من ذاتها تأتى بثمر. أولا نباتا ثم سنبلا ثم قمحا ملآن فى السنبل. وأما متى أدرك الثمر فللوقت يُرسل المنجل لأن الحصاد قد حضر»، وهذا يدل على أنه بعد انتشار الملكوت تحدث حرب شديدة بين أتباع الملكوت وبين اليهود الملاعين. ثم قال المسيح : «بماذا نشبه ملكوت الله؟ أو بأى مثل نمثله؟ مثل حبة[1] خردل متى زرعت فى الأرض فهى أصغر جميع البزور التى على الأرض. ولكن متى زُرعت؛ تطلع وتصير أكبر جميع البقول وتصنع أغصانا كبيرة حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها» [مر ٤]

* * *

(١) جاء فى القرآن الكريم: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم. وأثابهم فتحا قريبا. ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما﴾ قوله: ﴿ تحت الشجرة﴾ بالألف واللام، يدل على شجرة معروفة ومعلومة. فما هى هذه الشجرة؟ إن عيسى عليه السلام شبه المسلمين أتباع محمد ﷺ بالشجرة التى تظهر صغيرة ثم تنمو وتكبر إلى أن تصير شجرة عظيمة. ووجه الشبه: أن المسلمين يكثرون بفتح بلاد الكفر. لأن بنى إسماعيل، والذين رضى الله عنهم من أهل الكتاب سيفتحون بلاد الكفر وسينشرون فيها الإسلام؛ فيكون عددهم كثيراً جدا جدا ولأن الكثرة يكون أصلها من الإسماعيليين والمختارين المرضى عنهم من الله. عبر الله تعالى بقوله: ﴿تحت الشجرة﴾ لبيان أنهم يجاهدون تحت راية هذه الشجرة المعروفة والمعلومة من قول المسيح عيسى عليه السلام المذكور فى الأناجيل الأربعة، والمشهور بمثل حبة الخردل. يريد أن يقول لمريدى الإيمان فى العالم: انضموا إلى المسلمين تحت راية الشجرة.

والله أعلى وأعلم وأعز وأكرم. وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين. وكان الفراغ من تأليفه فى نهاية ذى الحجة سنة ألف وأربعمائة وثمانية عشر.

تم الكتاب ولله الحمد

صححه فى المطبعة

علاء أحمد حجازى أحمد السقا

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة